مغامرات أوديسيوس

من الأوذيسيا لهوميروس

السفاح

من الأوديسيا

Arabcomics.net
عرب كوميكس

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٦٩ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ٩ - ٠٠٦٩ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

السنابل

من الأوديسيا

مغامرات أوديسيوس

من الأوذيسيا لهوميروس

كتبها : أمين سلامة

دققها وحررها : الدكتور علي عبد المنعم

راجعها : الدكتور أحمد عتمان

رسوم : جوزيف حكيم جرجس

مكتبة لبنان

الفصل الأول
أَرْضُ الكُوكْلوبس

خَلَّفَ الإغْريقُ طُرْوادَةَ وَراءَهُمْ حُطاماً تَشْتَعِلُ فيهِ النّيرانُ ، وَرَكِبوا البَحْرَ عائِدينَ إلى بِلادِهِمْ يَسْتَشْعِرونَ حَلاوَةَ النَّصْرِ ، وَيُحِسّونَ بِزَهْوِ الفَخْرِ . وَلَكِنَّ هَذِهِ العَوْدَةَ لَمْ تَكُنْ مُريحَةً وَلا مُمْتِعَةً ، فَقَدْ صادَفَتْهُمْ مَتاعِبُ وَأَهْوالٌ كَثيرَةٌ ، حَتّى إنَّ بَعْضَ القادَةِ مِنْهُمْ قَضى سَنَواتٍ عِدَّةً قَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ بُلوغِ أَرْضِهِ ، وَالاِسْتِقْرارِ في وَطَنِهِ .

لَقَدْ أعانَتِ الرّيحُ الطَّيِّبَةُ نَسْطور العَجوزَ ، فَسَرْعانَ ما عادَ إلى بَلْدَتِهِ بِيلُوس في حينِ كانَتْ عَوْدَةُ أغامِمْنون النَّبيلِ رِحْلَةً مَحْفوفَةً بِالمَخاطِرِ وَالآلامِ : ذَلِكَ أنَّ زَوْجَتَهُ كلوتْمِنِسْترا – شَقيقَةَ هِيلِيني – وَقَدْ طالَتْ عَلَيْهَا غَيْبَتُهُ ، وَخُيِّلَ إلَيْها أنَّهُ قَدْ فارَقَ الحَياةَ ، هَفا قَلْبُها

إلى شابٍّ يُدْعى أيجِسْتُوس وهو ابن عم زوجها فتَزَوَّجَتْهُ .

وَكأنَّما أوْجَسَ أيجِسْتُوس خيفَةً ، وَتَوَقَّعَ ما يَلْقاهُ مِنْ شَرٍّ لَوْ عادَ أغامِمْنون سالِماً ، فَأعَدَّ لِلأمْرِ عُدَّتَهُ ، وَأقامَ مُراقِباً فَوْقَ قَلْعَةٍ عالِيَةٍ بِالقُرْبِ مِنْ شاطِئِ البَحْرِ ، يُلاحِظُ ظُهورَ سُفُنِ أغامِمْنون ، حَتّى إذا ما رآها أسْرَعَ عائِداً إلى موكيناي يَحْمِلُ نَبَأَ عَوْدَةِ أغامِمْنون . وَحينَ وَصَلَ الخَبَرُ تَظاهَرَ أيجِسْتوس بِالشَّوْق يَمْلأُ قَلْبَهُ ، وَبِالفَرْحَةِ تَغْمُرُ نَفْسَهُ بِعَوْدَةِ البَطَلِ وَرِفاقِهِ الظّافِرينَ . وَكانَ قَدْ أخْفى عِشْرينَ جُنْدِيّاً مُسَلَّحاً في السّاحَةِ العُظْمى . وَهَبَطَ لِلِقاءِ الأبْطالِ العائِدينَ وَالاحْتِفاءِ بِهِمْ وَمُرافَقَةِ أغامِمْنون في دُخولِهِ القَصْرَ ، ثُمَّ أقامَ لَهُمْ وَليمَةً تَكْريماً وَتَعْظيماً . وَبَيْنَما هُمْ مُسْتَغْرِقونَ فيما أعِدَّ لَهُمْ مِنْ أطايِبَ وَلَذائِذَ في الوَليمَةِ ، كانوا في شَوْقٍ إلَيْها بَعْدَ سَفَرٍ طَويل وَمَشاقَّ مُضْنِيَةٍ ، خَرَجَ عَلَيْهِمْ أولَئِكَ الجُنودُ المُخْتَبِئونَ فَقَضَوْا عَلَيْهِمْ جَميعاً .

أمّا أوديسيوسُ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئاً عَنْ هَذِهِ الأحْداثِ فَوْرَ وُقُوعِها ، وَإنَّما بَلَغَتْهُ أنْباؤُها بَعْدَ حِين . وَخَشِيَ عَلى نَفْسِهِ أنْ يُصيبَها ما أصابَ أغامِمْنون وَرِفاقَهُ ، أوْ أنْ يَكونَ الأعْداءُ مُتَرَبِّصينَ بِهِ ، رابِضينَ لَهُ في دارِهِ كَذَلِكَ ، فَعَمَدَ إلى الحيلَةِ عِنْدَما وَصَلَ

مَشارِفَ وَطَنِهِ : فَارْتَدى ثِيابَ رَجُلٍ غَريبٍ ، وَدَخَلَ قَصْرَهُ مُتَنَكِّراً في هَيْئَةِ شَحّاذٍ ، حَتّى إذا تَمَكَّنَ مِنْهُ أفْصَحَ عَنْ نَفْسِهِ .

بَيْدَ أنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أرْضَهُ ، وَيَصِلْ إلى قَصْرِهِ في هُدوءٍ ، بَلْ تَقاذَفَتْهُ المُغامَراتُ ، وَتَقاسَمَتْهُ الأهْوالُ ، وَكابَدَ ألْواناً مِنَ الشَّقاءِ سِنينَ طَويلَةً حَتّى ألْقى عَصا التَّرْحالِ أخيراً في وَطَنِهِ .

لَقَدْ ساقَتِ الرِّياحُ سُفُنَهُ – بَعْدَ أنْ غادَرَ طُرْوادَة – إلى شاطِئٍ طَراقْيا ، وَكانَ يَقْطُنُها قَوْمٌ تَرْبِطُهُمْ بِأهْلِ طُرْوادَة أواصِرُ المَوَدَّةِ وَالصَّداقَةِ . فَنَزَلَ إلى البَرِّ هُوَ وَرِجالُهُ في مدينة إسْماروس ، وَاسْتَوْلَوْا عَلى المَدينَةِ ، وَأحْرَقوها عَنْ آخِرِها ، كَما أحْرَقوا طُرْوادَة مِنْ قَبْلُ . لكِنَّ أوديسيوس لَمْ يَسْمَحْ لأحَدٍ مِنْ رِجالِهِ أنْ يَمَسَّ كاهِنَ أبوللو – مارون – بِأدْنى أذًى ، بَلْ قَدَّمَ الحِمايَةَ لِلْكاهِنِ وَزَوْجِهِ وَ وَلَدِهِ . وَشَكَرَ الكاهِنُ لأوديسْيوس صَنيعَهُ ، وَأبْدى عِرْفانَهُ لِفِعْلِهِ ، فَأهْداهُ الكَثيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَالكَثيرَ مِنَ القُدورِ المَمْلوءَةِ بِعَصيرِ الأعْنابِ المُرَكَّزَةِ ، القَوِيَّةِ المَذاقِ وَالمَفْعولِ حَتّى إنَّ الرِّجالَ كانوا يَمْزُجونَ المِكْيالَ الواحِدَ مِنْها بِعِشْرينَ مِكْيالاً مِنَ الماءِ قَبْلَ احْتِسائِها .

وَحَمَلَ أوديسْيوس هَداياهُ في سَفينَتِهِ ، وَبَلَغَ مِنْهُ السُّرورُ بِها مَبْلَغاً

كَبيراً فيما أتَتْ بِهِ الأيّامُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أحْداثٍ .

وَسارَ أوديسْيوس مُتّجِهاً إلى بِلادِهِ ، وَلكِنْ تَأتي الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي السُّفُنُ ! فَقَدْ هَبّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، دَفَعَتِ السُّفُنَ بَعيداً عَنْ مَجْراها القَويمِ ، وَظَلّتْ تَتَقاذَفُها جَنوباً في مِياهٍ مَجْهولَةٍ تِسْعَةَ أيّامٍ ، حَتّى إذا كانَ اليَوْمُ العاشِرُ بَلَغَتِ السُّفُنُ بِلادَ « أكَلَةِ اللُّوتس » . وَكانَ الجوعُ قَدْ بَلَغَ مِنَ القَوْمِ مَبْلَغَهُ ، وَالإرْهاقُ قَدْ وَصَلَ مِنْهُمْ غايَتَهُ ؛ فَأرْسَلَ أوديسْيوس إلى الشّاطِئِ ثَلاثَةً مِنْ رِجالِهِ الأشِدّاءِ ، يَلْتَمِسونَ لَهُمُ الطَّعامَ وَالماءَ ، فَوَجدوا « أكَلَةَ اللُّوتس » قَوْماً يَتَّصِفونَ بِالهُدوءِ ، وَتَفيضُ قُلوبُهُمْ بِالمَوَدّةِ ، وَتَبْدو عَلى وُجوهِهِمُ البَشاشَةُ ، يُعْطونَ عَنْ طيبِ خاطِرٍ ما يُؤْنِسونَ بِهِ وَحْشَةَ الغَريبِ . وَلِذا أعْطَوا البَحّارَةَ الغُرَباءَ بَعْضَ ثِمارِ اللُّوتس ، يَسُدّونَ بِهِ جوعَهُمْ ، وَيُمْسِكونَ بِهِ حَياتَهُمْ .

وَلكِنّ ثَمّةَ حَقيقَةً كانَتْ خافِيَةً عَلى هؤُلاءِ البَحّارَةِ الغُرَباءِ ، وَهِيَ مِنْ خَصائِصِ ثَمَرِ اللوتس ، وَلا يَعْلَمُها غَيْرُ أصْحابِ الأرْضِ ؛ فَمَنْ تَذَوّقَ ثَمَرَةَ اللوتس أصابَهُ شُعورٌ قَوِيٌّ بِالاطْمِئْنانِ إلى الجَزيرَةِ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رَغْبَةٌ عارِمَةٌ في عَدَمِ مُغادَرَتِها ، وَصارَ يُؤْثِرُ المُقامَ فيها مُسْتَغْرِقاً في أحْلامٍ هَنيئَةٍ سَعيدَةٍ ، ناسِياً كُلَّ ما حَوْلَهُ في العالَمِ الخارِجِيِّ مِنْ أشْياءَ وَأحْياءٍ .

أكَلَ البَحّارَةُ الثَّلاثَةُ مِنْ ثِمارِ اللوتس ، فَجَلَسوا هانِئينَ ، يَنْعَمونَ بِأحْلامِهِمُ الحُلْوَةِ ، لا يَذْكُرونَ مِنْ أمْرِ أصْحابِهِمْ شَيْئاً . وَلَمّا أبْطَأ خَبَرُهُمْ ذَهَبَ أوديسْيوس يَبْحَثُ عَنْهُمْ ، وَما إنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ ، وَأدْرَكَ حالَهُمْ ، حَتّى اقْتادَهُمْ إلى السَّفينَةِ عَنْوَةً ، حَيْثُ قَيَّدَهُمْ فيها ، وَأبْحَرَ بِرِجالِهِ بَعيداً عَنْ هَذِهِ الجَزيرَةِ ، مُسْرِعاً في إبْحارِهِ ما اسْتَطاعَ إلى ذَلِكَ سَبيلاً .

وَبَعْدَ أيّامٍ أخْرى مِنَ السَّفَرِ المُضْني ، وَالتِّرْحالِ الشّاقِّ ، أُلْقِيَ أوديسْيوس وَرِجالُهُ مَراسِيَ سُفُنِهِمْ عَلى شاطِئِ جَزيرَةٍ مَجْهولَةٍ لَهُمْ ، لا يَعْرِفونَ عَنْها وَلا عَنْ سُكّانِها قَليلاً وَلا كَثيراً .. تِلْكَ كانَتْ أرْضَ الكُوكْلوبس .

وَكانَ سُكّانُ أرضِ الكُوكْلوبس قَوْماً مِنَ العَمالِقَةِ ، يَتَميّزونَ في خِلْقَتِهِمْ عَنْ سائِرِ البَشَرِ بِأنَّ لِلْعِمْلاقِ مِنْهُمْ عَيْناً واحِدَةً في وَسَطِ جَبْهَتِهِ . وَكانوا يَتَّخِذونَ أكْواخاً لَهُمْ وَسْطَ التِّلالِ ، أوْ يَتَّخِذونَ مِنَ الكُهوفِ بُيوتاً يَعيشونَ فيها ، وَيَحْتَفِظونَ داخِلَها بِما لَدَيْهِمْ مِنْ طَعامٍ وَفيرٍ ، وَماشِيَةٍ كَثيرَةٍ .

وَأخْفى أوديسْيوس وَرِجالُهُ سُفُنَهُمْ داخِلَ مِياهِ الخَليجِ ، تَحْجُبُها عَنِ الجَزيرَةِ الكَبيرَةِ جَزيرَةٌ أخْرى صَغيرَةٌ ، فَلا يُبْصِرُها سُكّانُ

الكُوكْلوبس ، وَلا يُحِسّونَ بِها . وَأَمْضى الرِّجالُ يَوْمَهُمْ في صَيْدِ العَنْزاتِ البَرِّيَّةِ ، وَالاسْتِمْتاعِ بِأَكْلِ لَحْمِها الطازَجِ ، وَاحْتِساءِ عَصيرِ مارون ، كاهِنِ أبوللو في مدينة إسْماروس . وَفي اليَوْمِ التّالي اصْطَحَبَ أوديسْيوس اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ رِفاقِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ يَضْرِبُ في أَرْضِ الجَزيرَةِ ، يُحاوِلُ أَنْ يَسْتَكْشِفَ مَجاهِلَها ، وَأَنْ يَتَعَرَّفَ عَلى نَوْعِيَّةِ سُكّانِها ، فَوَجَدوا كَهْفاً ضَخْماً قَريباً مِنَ البَحْرِ ، وَتَلَفَّتوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ تَقَعْ أَعْيُنُهُمْ عَلى أَحَدٍ قَريبٍ مِنَ الكَهْفِ . وَنَظَروا داخِلَهُ فَأَدْهَشَهُمْ ما رَأَوْهُ مِنْ أَقْفاصٍ كَثيرَةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالجُبْنِ ، وَآنِيَةٍ مُمْتَلِئَةٍ بِاللَّبَنِ ، وَحُمْلانٍ صَغيرَةٍ تَمْرَحُ في حَظيرَتِها . وَبَدا كُلُّ شَيْءٍ هادِئاً ، تُرَفْرِفُ عَلَيْهِ السَّكينَةُ ، وَتَسودُهُ الطُّمَأنينَةُ .

أَرادَ الرِّجالُ أَنْ يَحْمِلوا ما يَسْتَطيعونَ حَمْلَهُ مِنْ أَقْفاصِ الجُبْنِ ، وَيَعودوا إلى سُفُنِهِمْ ، قانِعينَ بِما أَصابوا مِنْ غُنْمٍ ، وَلَكِنَّ نَفْسَ أُوديسْيوس كانَتْ تَوّاقَةً إلى رُؤْيَةِ صاحِبِ الكَهْفِ ، مُتَطَلِّعَةً إلى التَّعَرُّفِ عَلى سُكّانِ هَذِهِ الأَرْضِ مِنْ قُرْبٍ ، فَآثَروا البَقاءَ في الكَهْفِ مُتَمَتِّعينَ بِما يَطْعَمونَ مِنَ الجُبْنِ ، وَبِما يَحْتَسونَ مِنْ عَصيرِ مارون الَّذي كانوا يَحْمِلونَ بَعْضاً مِنْهُ مَعَهُمْ .

وَلَمّا أَقْبَلَ المَساءُ دَخَلَ الكَهْفَ عِمْلاقٌ هائِلٌ ، يَحْمِلُ فَوْقَ كَتِفَيْهِ جِذْعَ شَجَرَةٍ ضَخْماً أَلْقاهُ عَلى الأَرْضِ ، كَيْ يَسْتَخْدِمَهُ وَقُوداً

لِنيرانِهِ . وَساقَ قُطْعانَ ماشِيَتِهِ إلى داخِلِ الكَهْفِ ، ثُمَّ رَفَعَ صَخْرَةً عَظيمَةً كانَ يَضَعُها عِنْدَ مَدْخَلِ الكَهْفِ لِيُحْكِمَ بِها إِغْلاقَ بابِهِ . وَكانَتْ صَخْرَةً هائِلَةً لَيْسَ في مَقْدورِ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرينَ جَواداً مِنْ أَقْوى الجِيادِ وَأَشَدِّها – رَفْعُها مِنْ مَكانِها ، أَوْ زَحْزَحَتُها عَنْهُ قِيْدَ أُنْمُلَةٍ . ثُمَّ حَلَبَ العِمْلاقُ عَنْزاتِهِ ، وَ وَضَعَ لَبَنَها في الآنِيَةِ ، لِيَكونَ شَراباً لَهُ في أَكْلَةِ العَشاءِ .

وَظَلَّ أُوديسيوسُ وَرِجالُهُ طَوالَ ذَلِكَ الوَقْتِ ، يَرْقُبونَ صَنيعَ العِمْلاقِ في صَمْتٍ ، وَيَحْبِسونَ أَنْفاسَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ ، يُسَيْطِرُ عَلَيْهِمُ الجَزَعُ ، وَيَسْتَوْلي عَلَيْهِمُ الفَزَعُ ، فَقَدْ أَصْبَحوا سُجَناءَ الكَهْفِ مَعَ العِمْلاقِ وَحيدِ العَيْنِ ، الَّذي أَكَلوا بَعْضَ جُبْنِهِ .

وَفَجْأَةً لاحَتْ مِنَ العِمْلاقِ نَظْرَةٌ ، وَقَعَتْ عَلى أُوديسْيوس وَرِجالِهِ ، فَصاحَ بِهِمْ صَيْحَةً مُنْكَرَةً : « مَنْ تَكونونَ ؟»

أَجابَ أوديسيوس : « نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الإغْريقِ ، ضَلَلْنا الطَّريقَ في عَوْدَتِنا مِنْ طُرْوادَةَ إلى بِلادِنا . وَاضْطَرَبَتْ بِنا البِحارُ ، حَتّى لَفَظَتْنا الأَمْواجُ عَلى شاطِئِ جَزيرَتِكُمْ ، فَارْفُقْ بِنا أَيُّها العِمْلاقُ العَظيمُ بِحَقِّ إلهِنا زيوس !»

قَهْقَهَ العِمْلاقُ ، ثُمَّ قالَ : « نَحْنُ جَماعَةُ الكُوكْلوبس لا نَهْتَمُّ

أَبَداً بِأَحَدٍ ، فَنَحْنُ قَوْمٌ أَقْوِياءُ ، وَنَقْدِرُ عَلى فِعْلِ ما نُريدُ . أَيْنَ تَقَعُ سَفينَتُكُمْ ؟»

وَرَأى أودِيسْيوس أَنَّهُ مِنَ الحِكْمَةِ أَلا يَعْرِفَ العِمْلاقُ شَيْئًا عَنْ مَكانِ سُفُنِهِمْ ، وَمِنْ ثَمَّ أَجابَهُ : « إِنَّ سَفينَتَنا قَدْ تَحَطَّمَتْ ، وَذَهَبَتْ أَدْراجَ الرِّياحِ في المِياهِ .»

لَكِنَّ العِمْلاقَ لَمْ يُعِرْ هَذا الجَوابَ انْتِباهًا ، وَإِنَّما مَدَّ يَدَهُ الطَّويلَةَ القَوِيَّةَ وَجَذَبَ اثْنَيْنِ مِنَ الرِّجالِ في لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ ، فَمَزَّقَ جَسَدَيْهِما أَشْلاءً ، وَقامَ بِشَيِّهِما عَلى النِّيرانِ الَّتي كانَ قَدْ أَوْقَدَها ، ثُمَّ الْتَهَمَهُما أَكْلَةَ عَشائِهِ ، وَشَرِبَ مِنَ اللَّبَنِ ما شاءَ مِنَ الآنِيَةِ ، ثُمَّ راحَ في سُباتٍ عَميقٍ .

كُلُّ ذَلِكَ تَمَّ في لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ ، عَقَدَ الخَوْفُ فيها أَلْسِنَةَ الرِّجالِ ، وَشَلَّ فاعِلِيَّتَهُمْ ، فَفَغَروا أَفْواهَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ ، وَاتَّسَعَتْ أَحْداقُهُمْ مِنْ قَسْوَةِ الهَوْلِ ، وَهُمْ يَنْظُرونَ إِلى العِمْلاقِ نَظَرَ المُغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ .

وَحينَ ثابَ إِلى أودِيسْيوس رُشْدُهُ ، أَخَذَ يُقَلِّبُ الأَمْرَ عَلى وُجوهِهِ ، فَرَأى أَنْ يَقْتُلوا العِمْلاقَ وَهُوَ يَغُطُّ في نَوْمِهِ . لَكِنَّهُ رَآها فِكْرَةً غَيْرَ صائِبَةٍ ، فَلَوْ قُدِّرَ لَهُمْ أَنْ يُفْلِحوا في القَضاءِ عَلَيْهِ لَلَبِثوا

في الكَهْفِ أسْرى الرُّعْبِ وَالفَزَعِ حَتّى يَقْضوا نَحْبَهُمْ ؛ إذْ لَيْسَ إلى خُروجِهِمْ مِنْهُ مِنْ سَبيلٍ ، طالَما بَقِيَتِ الصَّخْرَةُ جاثِمَةً هُناكَ تَسُدُّ مَدْخَلَهُ ، وَما لَهُمْ بِزَحْزَحَتِها عَنْ مَكانِها طاقَةٌ وَلا قُدْرَةٌ .

وَفي الصَّباحِ التَهَمَ العِمْلاقُ رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ أكْلَةَ إفْطارِهِ ، وَ مَضى لِشَأنِهِ ، فَساقَ قُطْعانَ ماشِيَتِهِ إلى خارِجِ الكَهْفِ ، ثُمَّ أحْكَمَ إغْلاقَ بابِهِ بِوَضْعِ الصَّخْرَةِ الضَّخْمَةِ في مَدْخَلِهِ . غَيْرَ أنَّ الأمَلَ لَمْ يَتَسَرَّبْ مِنْ نَفْسِ أوديسْيوس . فَاستَجاشَ هِمَّتَهُ ، وَاستَثارَ عَزيمَتَهُ ، وَأنْشَأ يُديرُ في رَأسِهِ خُطَّةً مُحْكَمَةً ، يَبْتَغي مِنْ وَرائِها إنْقاذَ نَفْسِهِ وَرِفاقِهِ .

كانَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ قَدْ تَرَكَ جِذْعَ الشَّجَرَةِ الضَّخْمَ داخِلَ الكَهْفِ ، فَاقْتَطَعَ مِنْهُ أوديسْيوس قِطْعَةً يَبْلُغُ طولُها مِتْرَيْنِ ، وَأخَذَ يَبْري طَرَفَها بَرْيًا مُتْقَنًا وَاختارَ أرْبَعَةً مِنْ رِجالِهِ ، اتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلى أنْ يُدْخِلوا الطَّرَفَ المُدَبَّبَ داخِلَ عَيْنِ العِمْلاقِ عِنْدَما يَنامُ .

وَحينَما غَرَبَتِ الشَّمْسُ عادَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ إلى كَهْفِهِ ، يَسوقُ خِرافَهُ إلى داخِلِهِ مِنْ جَديدٍ ، ثُمَّ أغْلَقَ بابَهُ الحَجَرِيَّ ، وَفَتَكَ بِرَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ : طَهاهُما وَالتَهَمَهُما أكْلَةَ عَشائِهِ.

وَكانَ أوديسْيوس قَدْ مَلأ أحَدَ الآنِيَةِ مِنْ عَصيرِ مارون القَوِيِّ

المَذاقِ وَالمَفْعولِ ، دونَ أنْ يَمْزُجَها بِنُقْطَةِ ماءٍ واحِدَةٍ ، وَقَدَّمَ هَذا الإناءَ المُمْتَلِئَ بالعَصيرِ المُعَتَّقِ إلى العِمْلاقِ ، الَّذي لَمْ يَكُنْ ذاقَ طَعْمَ عَصيرِ الأعْنابِ طَوالَ حَياتِهِ . وَأخَذَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ يَعُبُّ العَصيرَ عَبًّا . وَسَرْعانَ ما دَبَّتِ النَّشْوَةُ في أوْصالِهِ ، وَدارَتْ رَأسُهُ ، وَقالَ إنَّهُ سَيُعْطي هَذا الرَّجُلَ هَدِيَّةً ذاتَ قيمَةٍ ، ثُمَّ سَألَهُ : « ما اسمُكَ يا فَتى ؟»

أجابَ أوديسيوسُ ، وَكَأنَّما هَيَّأ نَفْسَهُ لِهَذا السُّؤالِ مِنْ قَبْلُ : « اِسْمي «« أوديس »» .» (« أوديس » بِاليونانِيَّةِ تَعْني : « لا أحَدَ » ، وتَتَشابَهُ مَعَ المَقْطَعِ الأوَّلِ مِنِ اسْمِ أوديسيوس ، وهو « أوديس » .)

وَحينَئِذٍ قالَ لَهُ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ : « إذًا سَألْتَهِمُ الرِّجالَ الآخَرينَ أوَّلا ، أمَّا أنْتَ « يا أوديس » فَسَوْفَ أبْقيكَ إلى النِّهايَةِ ، وَآكُلُكَ آخِرَ الرِّجالِ . هَذِهِ هِيَ هَدِيَّتي لَكَ .» قالَ العِمْلاقُ ذو العَيْنِ الواحِدَةِ هذا القَوْلَ ، ثُمَّ راحَ في سُباتٍ عَميقٍ . وَفي الحالِ أمْسَكَ أوديسْيوس السّاقَ الخَشَبِيَّةَ الطَّويلَةَ ، وَ وَضَعَ طَرَفَها المُدَبَّبَ في النّارِ المُوقَدَةِ ، حَتّى احْمَرَّ لَوْنُها ، ثُمَّ نَهَضَ الرِّجالُ الأرْبَعَةُ ، وَفي حَرَكَةٍ واحِدَةٍ نَشيطَةٍ قَوِيَّةٍ دَفَعوا طَرَفَها المُدَبَّبَ المُحْمَرَّ داخِلَ عَيْنِ العِمْلاقِ الوَحيدَةِ . لَقَدْ دَفَعوها دَفْعَةً واحِدَةً قَوِيَّةً ، مِمّا جَعَلَ

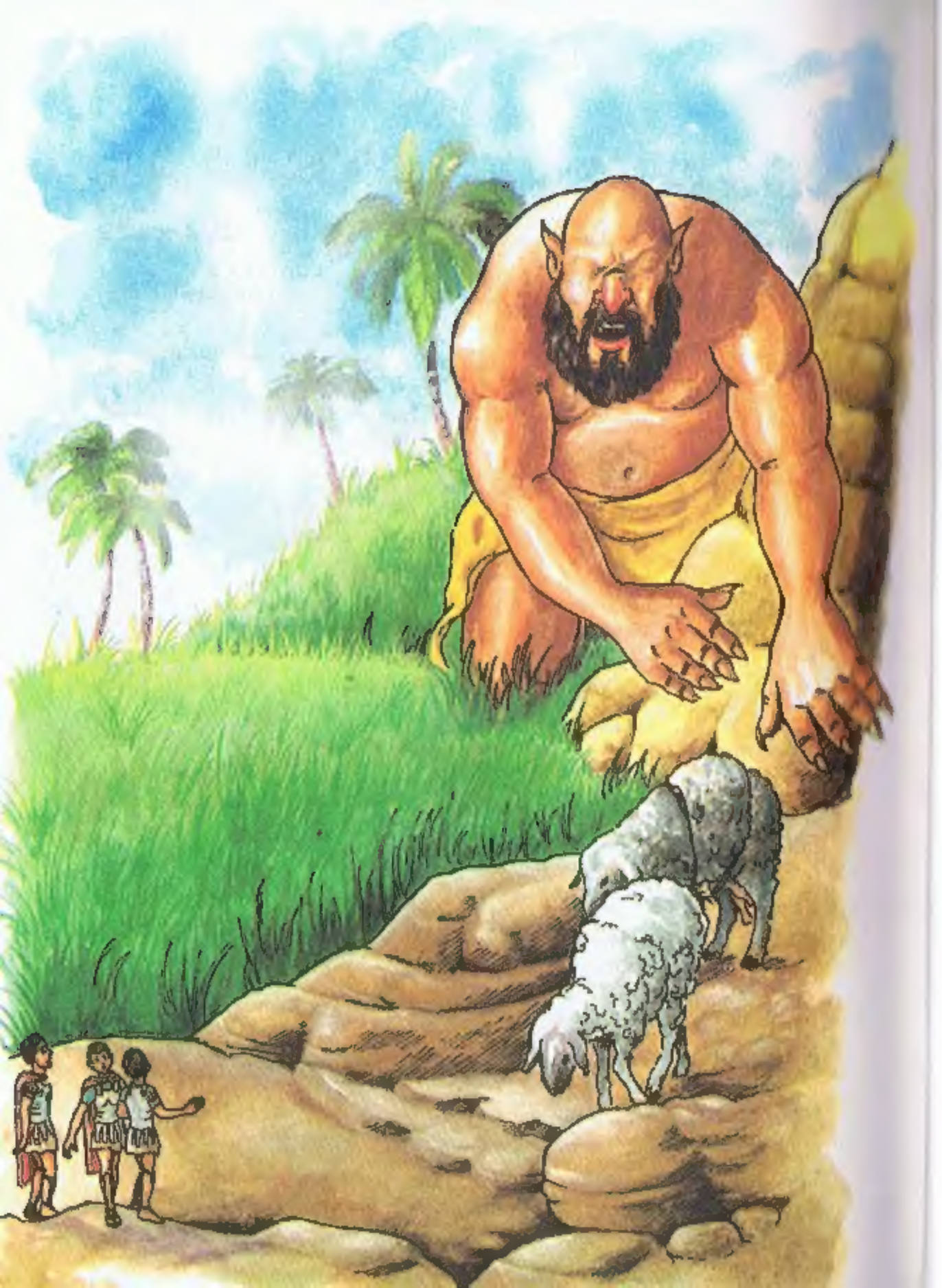

الـعِمْلاقَ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ صَرْخَةً مُرْعِبَةً مُدَوِّيَةً ، وَيَقْفِزُ واقِفًا عَلى قَدَمَيْهِ ، وَيَسْتَصْرِخُ في صَيْحاتٍ مَجْنونَةٍ إِخْوانَهُ العَمالِقَةَ الَّذينَ يَقْطُنونَ الكُهوفَ مِنْ حَوْلِهِ ، فَاسْتَجابوا لِصَرْخَتِهِ ، وَهَمّوا لِنَجْدَتِهِ ، وَهُمْ يَتَصايَحونَ سائِلينَ إِيّاهُ : « مَنِ الَّذي يُزْعِجُكَ ؟»

وَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ العِمْلاقُ : « لا أَحَدَ يَقْتُلُني !»

وَصاحَ العَمالِقَةُ بِصاحِبِهِمْ ضائِقينَ : « ما دامَ لا أَحَدَ يُؤْذيكَ ، فَلِماذا أَزْعَجْتَنا مِنْ نَوْمِنا الحُلْوِ ، وَنَغَّصْتَ عَلَيْنا لَيْلَتَنا الهَنِيَّةَ ؟»

وَعادوا إِلى نَوْمِهِمْ ، وَفي نُفوسِهِمْ مِنَ السُّخْطِ عَلى صاحِبِهِمْ ، وَالضيقِ بِهِ ما لا حَدَّ لَهُ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أُودِيسْيوس أَنْ يَكُفَّ نَفْسَهُ عَنِ الضَّحِكِ سُخْرِيَةً وَاسْتِهْزاءً بِالعَمالِيقِ ، وَقَدْ رَأى خُدْعَتَهُ تَنْطَلي عَلَيْهِمْ ، وَحيلَتَهُ تُؤْتي أُوَّلَ ثِمارِها .

وَما إِنْ أَشْرَقَ صَباحُ اليَوْمِ التّالي حَتّى هَبَّ العِمْلاقُ الأَعْمى ، يُزيلُ الصَّخْرَةَ الرّابِضَةَ في مَدْخَلِ الكَهْفِ . وَجَلَسَ عَلى بابِهِ باسِطًا ذِراعَيْهِ ، يُحاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِهَؤُلاءِ الرِّجالِ الأَسْرى لَوْ أَنَّهُمْ حاوَلوا الخُروجَ . لَكِنَّ أُودِيسْيوس كانَ قَدْ أَعَدَّ لِلأَمْرِ حيلَةً أُخْرى يَتَغَلَّبُ

بِها عَلى قُوَّةِ العِمْلاقِ الأعْمى ، وَيُنْقِذُ بِها نَفْسَهُ وَرِجالَهُ مِنْ بَيْنِ بَرائِنِهِ ؛ فَرَبَطَ كُلَّ ثَلاثَةٍ مِنَ الكِباشِ مَعًا رَبْطًا مُحْكَمًا ، ثُمَّ رَبَطَ رَجُلاً واحِدًا أسْفَلَ بَطْنِ الكَبْشِ الأوسَطِ ، إحْساسًا مِنْهُ بِأنَّ العِمْلاقَ لَنْ يَتَحَسَّسَ غَيْرَ الكَبْشَيْنِ اللَّذَيْنِ في الطَّرَفَيْنِ ، تارِكًا الكَبْشَ الأوْسَطَ . وَبِهَذِهِ الحيلَةِ خَرَجَتِ الكِباشُ جَميعُها مِنْ بابِ الكَهْفِ، والعِمْلاقُ الأعْمى يَتَحَسَّسُ ظُهورَها وَبُطونَها ، وَلا يَدْري أنَّها تَحْمِلُ الرِّجالَ جَميعًا إلى فَضاءِ الحُرِّيَّةِ خارِجَ الكَهْفِ !

وَلَمَّا أصْبَحَ أُودِيسْيوس وَرِجالُهُ بِمَنْجاةٍ مِنَ العِمْلاقِ الأعْمى ، فَكَّ أرْبِطَةَ الرِّجالِ وَالكِباشِ ، وَهُرِعوا إلى سُفُنِهِمْ يَسوقونَ كِباشَ العِمْلاقِ أمامَهُمْ . وَبِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ أقْلَعوا بِسُفُنِهِمْ مُبْحِرينَ ، فَلَمَّا غَدَوْا عَلى مَسافَةٍ آمِنَةٍ مِنْ بَطْشِ العَمالِيقِ صاحَ أُودِيسْيوس بِالعِمْلاقِ الأعْمى قائِلاً : « لَوْ سَألَكَ أحَدٌ عَمَّنْ أعْماكَ ، فَقُلْ لَهُ إنَّهُ أُودِيسْيوس ابنُ لايرتيس مِنْ إيثاكي !»

عِنْدَئِذٍ أدْرَكَ العِمْلاقُ الأعْمى ما حَلَّ بِهِ مِنْ خِزْيٍ ، وأنَّ قُوَّتَهُ لَمْ تُسْعِفْهُ في مُواجَهَةِ العَقْلِ الذَّكِيِّ الأريبِ ، فَتَوَجَّهَ ضارِعًا إلى أبيهِ إلهِ البَحْرِ « بوسيدون » يَلْتَمِسُ مِنْهُ أنْ يَنْتَقِمَ لَهُ مِنْ أُودِيسْيوس وَرِجالِهِ ، فَلا يُتيحُ لَهُ أنْ يَبْلُغَ أرْضَ وَطَنِهِ أبَدًا ؛ وَإذا كانَ مُقَدَّرًا لَهُ

بُلوغُها فَلا يَبْلُغُها إلا مُنْفَرِدًا ، بَعْدَ سِنينَ طَويلَةٍ يُعاني فيها مِنَ المَشَقّاتِ والأهْوالِ ما يَهُدُّ طاقَتَهُ ، وَيَفوقُ احْتِمالَهُ ، لِيَجِدَ الحُزْنَ البَئيسَ يَتَرَبَّصُ بِهِ في ساحَةِ دارِهِ

وَفي لَحْظَةٍ غاضِبَةٍ يائِسَةٍ قَذَفَ العِمْلاقُ الأعْمى صَخْرَةً هائِلَةً في عُرْضِ البَحْرِ ، سَقَطَتْ خَلْفَ سُفُنِ أُودِيسْيوس فَأحْدَثَتْ في البَحْرِ هِياجًا ، وَدَفَعَتْ أمْواجُهُ سُفُنَ أُودِيسْيوس بَعيدًا عَنِ الجَزيرَةِ .

وَهَكَذا أبْحَرَ أُودِيسيوس وَالبَقِيَّةُ الباقِيَةُ مِنْ رِجالِهِ بَعيدًا عَنْ تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلْعونَةِ ، وَمَضَوْا يُتابِعونَ أسْفارَهُمْ لَكِنَّ بوسيدون كانَ يَسْمَعُ تَضَرُّعَ ابْنِهِ العِمْلاقِ الأعْمى ، وَاسْتَجابَ لِضَراعَتِهِ ، وَقَرَّرَ ألا يَعْفُوَ أبَدًا عَنْ أُودِيسْيوس ، وَلا يَصْفَحَ عَنْ فَعْلَتِهِ .

الفصل الثّاني

كيرْكي السّاحِرَةُ

ظَلَّ أوديسيوس وَرِجالُهُ يُمْعِنونَ في إبْحارِهِمْ ، مُبْتَعِدينَ عَنْ تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلْعونَةِ جَزيرَةِ العَماليقِ – حَتّى بَلَغوا جَزيرَةً أُخْرى ، وَأَلْقَوْا مَراسِيَ سُفُنِهِمْ عَلى شاطِئِها . وَلَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ أَنَّ هَذِهِ الجَزيرَةَ تُدْعى « أيايا » ، وَلَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ أَنَّ ساحِرَةً ماهِرَةً فاتِنَةً تُسَمّى « كيركي » تَسْتَوْطِنُها .

تَقَلَّدَ أوديسْيوس سَيْفَهُ ، وَامتَشَقَ رُمْحَهُ ، وَأَنْشَأَ يَرْتَقي تَلاًّ مُجاوِراً لِلشّاطِئِ ، حَتّى إذا ما بَلَغَ قِمَّتَهُ أَبْصَرَ دُخاناً كَثيفاً يَتَصاعَدُ مِنْ غابَةٍ بَعيدَةٍ ، فأَدْرَكَ أَنَّ في تِلْكَ الغابَةِ قَوْماً يَعيشونَ . وَ راوَدَتْهُ فِكْرَةُ الذَّهابِ إِلَيْها ، يَسْتَطْلِعُ أَمْرَها ، وَيَسْتَوْضِحُ خَفِيَّها ، أَوْ لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَ أَهْلِها خَبَراً عَنِ المَكانِ الَّذي هُوَ فيهِ ، لَكِنَّهُ خَشِيَ الذَّهابَ

مُنْفَرِدَه ، فَآثَرَ أَنْ يَعودَ إلى السَّفينَةِ ، يَصْطَحِبُ مَعَهُ زُمْرَةً مِنْ رِجالِهِ، يَكونونَ أَزْرَهُ ، وَيُعينونَهُ عَلى أَمْرِهِ ، فَقَدْ يَكونُ لَدى النّارِ قَوْمٌ مِنْ أَكَلَةِ لُحومِ البَشَرِ كَأُولَئِكَ العَماليقِ الَّذينَ صادَفَهُمْ في تِلْكَ الجَزيرَةِ المَلْعونَةِ .

وَحينَ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ شَمْسُ اليَوْمِ الثّاني كانَتِ الفِكْرَةُ قَدِ اسْتَقَرَّتْ في رَأْسِ أوديسْيوس ، فَحَزَمَ أَمْرَهُ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ ، وَقَسَّمَهُمْ فَريقَيْنِ : يَتَكَوَّنُ كُلٌّ مِنْهُما مِنَ اثْنَيْنِ وَعِشْرينَ رَجُلاً ، يَقودُ الفَريقَ الأَوَّلَ رَجُلٌ عالي الهِمَّةِ يُسَمّى « يُوريلُوخُوس » ؛ وَيَقُودُ أُوديسيوسُ الفَريقَ الثاني . وَاصْطَنَعوا القُرْعَةَ وَسيلَةً لِتَعْيينِ أَيِّ الفَريقَيْنِ يَبْدَأُ الذَّهابَ إلى الغابَةِ ، يَسْتَجْلي حَقيقَتَها ، وَيَتَعَرَّفُ سِرَّها ؛ فَوَضَعا في إحْدى الحُوذاتِ قِطْعَتَيْنِ مِنَ الخَشَبِ ، تَحْمِلُ إِحْداهُما اسمَ « أوديسْيوس » ، وَتَحْمِلُ الثّانِيَةُ اسمَ « يُوريلُوخُوس » ، وَهَزّوا الحُوذَةَ بِشِدَّةٍ ، فَسَقَطَتْ مِنْها الخَشَبَةُ الَّتي تَحْمِلُ اسمَ « يُوريلُوخُوس »

وَهَكَذا كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعى مَعَ فَريقِهِ إلى الغابَةِ ، فَتَقَدَّمَ رِجالُهُ ، وَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يَكْتُمَ ما يَمْلأُ قَلْبَهُ مِنَ الخَوْفِ ، وَيَسْتَوْلي على نَفْسِهِ مِنَ الجَزَعِ ، وَلَوْ خُلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرارِهِ لآثَرَ النُّكوصَ عَنْ هذِهِ المَهَمَّةِ . وَلَكِنَّها شَجاعَةُ الرِّجالِ تُقاسُ بِمِقْدارِ ما يُقْدِمونَ عَلَيْهِ

مِنْ خَطَرٍ ، وَبِمِقْدارِ ما يُحَقِّقونَ مِنْ كَشْفٍ في ارْتِيادِ المَجْهولِ !

وَلَبِثَ الفَريقُ الثّاني بِقِيادَةِ أوديسْيوس في السَّفينَةِ خائِفًا يَتَرَقَّبُ ، حَتّى عادَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ حينٍ يُوريلوخوس ، فَإِذا هُمْ يُنْكِرونَ مِنْ شَخْصِهِ أَكْثَرَ مِمّا يَعْرِفونَ . لَقَدْ عادَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ ، مُنْكَسِرَ الخاطِرِ ، مَهْزومَ النَّفْسِ ، حَزينًا باكِيًا لا تَكادُ تَرْقَأُ دُموعُهُ ، يُعْجِزُهُ البُكاءُ وَالنَّشيجُ عَنِ الإِفْصاحِ عَمّا نَزَلَ بِهِ وَبِرِجالِهِ مِنْ أَحْداثٍ ، وَما أَلَمَّ بِهِمْ مِنْ نَكَباتٍ .

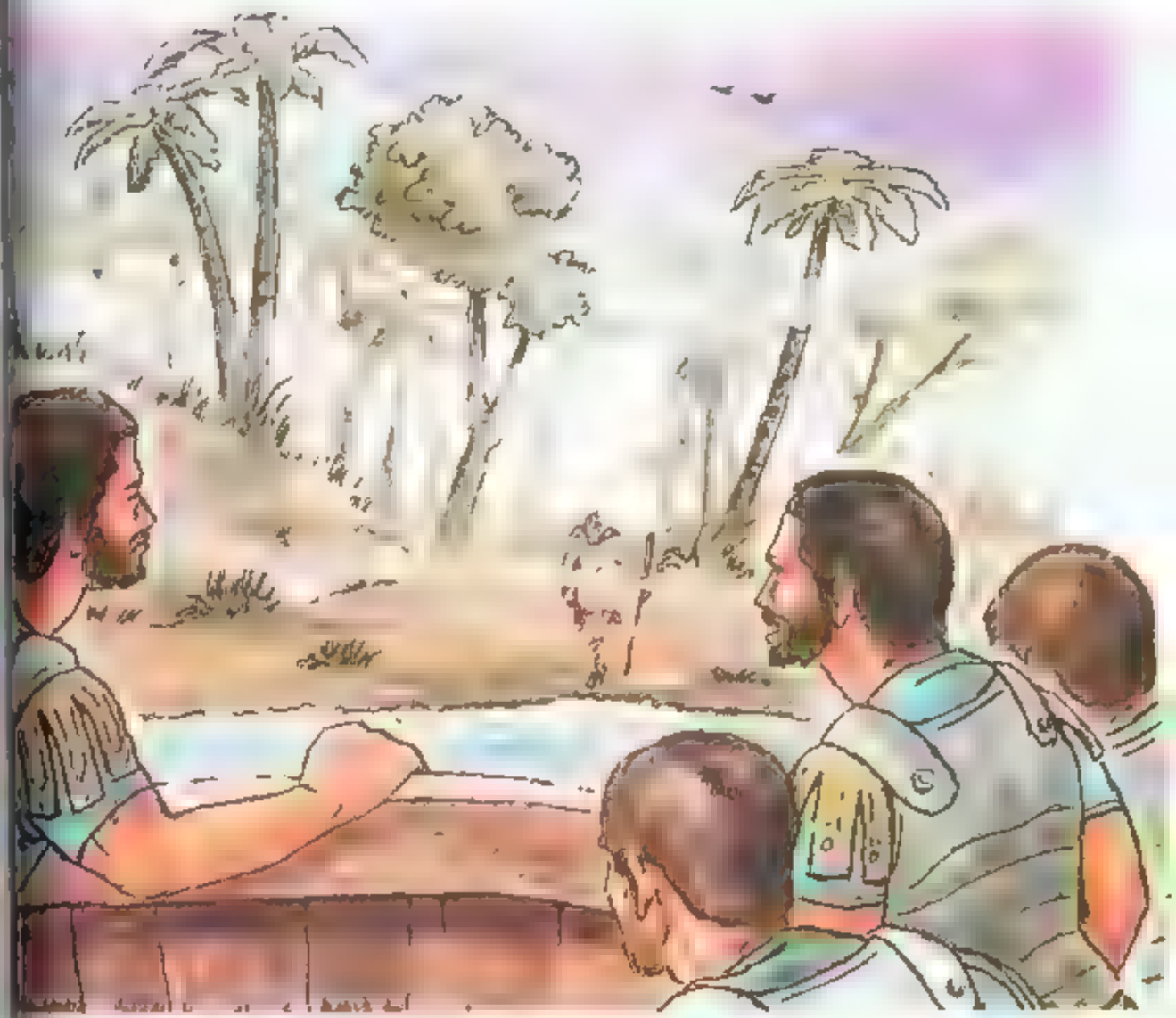

وَلَمّا أَصابَتْ نَفْسُهُ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ ، وَانْسابَ في قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ اطْمِئْنانٍ ، أَنْشَأَ يَقُصُّ عَلى القَوْمِ الحِكايَةَ : لَقَدْ واصَلَ هُوَ وَرِجالُهُ مَسيرَهُمْ حَتّى بَلَغوا وَسَطَ الغابَةِ ، فَإِذا مَنْزِلٌ أَنيقٌ بَديعٌ يَقومُ فيهِ ، وَإِذا أَسودٌ وَدِئابٌ تَمْرَحُ وَتَعْبَثُ أَمامَهُ . وَلَكِنَّها أَسودٌ وَدِئابٌ قَدْ بُدِّلَتْ طَبيعَتُها ، فَإِذا هِيَ مُسْتَأْنِسَةٌ أَليفَةٌ وَدودٌ كَالكِلابِ ، وَإِذا هِيَ تُحيطُ بِرِجالِهِ في وُدٍّ وَأَلْفَةٍ وَهُمْ يَقِفونَ أَمامَ بابِ المَنْزِلِ يَهْمُمونَ بِطَرْقِهِ ، فَيَصُدُّهُمْ عَنْ ذَلِكَ صَدًّا قَوِيًّا ، وَيَرُدُّهُمْ عَنْهُ رَدًّا رَفيقًا – صَوْتُ غِناءٍ عَذْبٍ رَقيقٍ يَنْبَعِثُ مِنْ داخِلِ المَنْزِلِ ، لا تَكادُ تَسْمَعُهُ الأُذُنُ حَتّى تَسْتَجيبَ لَهُ الجَوارِحُ جَميعُها ، وَيَسْتَوْلي عَلى أَقْطارِ النَّفْسِ كُلِّها ، فَتَسْكُنَ بَعْدَ اضْطِرابٍ ، وَلا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِها غَيْرَ الإِنْصاتِ في لَذَّةٍ وَاسْتِمْتاعٍ .

وَبَيْنَما الرِّجالُ تَتَشَنَّفُ آذانُهُمْ بِالغِناءِ العَذْبِ الرَّقيقِ فَهُمْ بِهِ مَسْحورونَ ، وَتَتَمَلّى أَبْصارُهُمْ جَمالَ المَنْزِلِ البَديعِ الأَنيقِ فَهُمْ بِهِ مَفْتونونَ ، وَيَرَوْنَ مِنْ حَوْلِهِمُ الأُسودَ وَالذِّئابَ الوَدودَ فَهُمْ مِنْها مَذْهولونَ . بَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ إِذا بابُ المَنْزِلِ يُفْتَحُ عَلى مِصْراعَيْهِ ، وَإِذا امْرَأَةٌ تَبْرُزُ مِنْهُ ، قَدِ ارْتَدَتْ ثَوْبًا أَبْيَضَ رَشيقًا أَنيقًا ، قَدْ وُشِّيَ بِالذَّهَبِ ، وَرُصِّعَ بِالجَواهِرِ ، فَبَدَتِ المَرْأَةُ فيهِ آيَةً في الفِتْنَةِ وَالرَّوْعَةِ وَالجَمالِ : فِتْنَةٍ تُسْبي العُقولَ ، وَرَوْعَةٍ تَأْخُذُ بِالأَلْبابِ ، وَجَمالٍ

يَسْتَوْلي عَلى النُّفوسِ . وأشارَتْ إلى الرِّجالِ أنْ يَدْخُلوا ، فَلَمْ يَمْلِكوا مِنْ أمْرِهِمْ إلا الإذْعانَ . وَراحَتِ المَرأةُ الفاتِنَةُ وَإماؤُها يَمْزُجْنَ العَصيرَ المُعَتَّقَ بِالعَسَلِ ، وَيُقَدِّمْنَهُ - في دَلٍّ وَجَمالٍ - لِلرِّجالِ ، فَشَرِبوا حَتّى ارتَوَوْا . وَما كادوا يَفْرَغُونَ مِنَ الشَّرابِ حَتّى مَسَّتْهُمُ المَرأةُ الأنيقَةُ الفاتِنَةُ بِعَصاها ، فَإذا هُمْ يُمْسَخونَ خَنازيرَ بَرِّيَّةً. ساقَتْهُمُ المَرأةُ وَإماؤُها إلى خارِجِ المَنْزِلِ ، وَأدْخَلَتْهُمْ إحْدى الحَظائِرِ، ثُمَّ أغْلَقَتْ عَلَيْهِمُ البابَ .

كانَتْ هَذِهِ المَرأةُ الأنيقَةُ الفاتِنَةُ هِيَ « كيركي » السّاحِرَةَ الماهِرَةَ ، الذّائِعَةَ الصّيتِ ، وَحَدَثَ ذَلِكَ كُلُّهُ بَيْنَما كانَ يُوريلُوخُوس يَحْتَبِئُ خَلْفَ النَّوافِذِ ، يُراقِبُ ما يَحْدُثُ وَلا يَسْتَطيعُ أنْ يَصْنَعَ لِرِجالِهِ شَيْئًا ، فَما كانَ مِنْهُ إلا العَوْدَةُ السَّريعَةُ إلى السَّفينَةِ كاسِفَ البالِ ، مَحْزونَ الفُؤادِ .

ثارَتْ بِأوديسْيوس حَمِيَّتُهُ ، وَهَزَّتْهُ نَحْوَتُهُ ، وَغَلى الدَّمُ في عُروقِهِ ، فَعَزَمَ عَلى أنْ يُخَلِّصَ رِجالَهُ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ وَرْطَةٍ ، فَأغْمَدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَنَثَرَ كِنانَتَهُ ؛ لِيَخْتارَ مِنْ بَيْنِ سِهامِها أصْلَبَها عودًا ، وَأشَدَّها مَضاءً ، وَأقْواها نَفاذًا . وَطَلَبَ إلى صاحِبِهِ يُوريلُوخُوس أنْ يَمْضِيَ مَعَهُ ، وَلَكِنْ قَعَدَتْ بِهِ هِمَّتُهُ ، وَخَذَلَتْهُ عَزيمَتُهُ ، لِهَوْلِ

ما أصابَهُ مِنَ الرُّعْبِ ، وَشِدَّةِ ما سَيْطَرَ عَلَيْهِ مِنَ الفَزَعِ . فَمَضى « أوديسيوسُ » وَحْدَهُ ، يَشُقُّ أحْراشَ الغابَةِ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في وَسيلَةٍ يَتَطَلَّبُ بِها مِنَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ سِحْرَها ، وَيَفُكُّ رِجالَهُ مِنْ أسْرِها ، وَيُخَلِّصُهُمْ مِنْ قَبْضَتِها .

وَبَيْنَما هُوَ يَنْدَفِعُ في سَيْرِهِ ، مُسْتَغْرِقًا في تَفْكيرِهِ ، إذا بِشابٍّ وسيمِ الحِلْقَةِ ، بَهِيِّ الطَّلْعَةِ ، ذي فُتُوَّةٍ وَقُوَّةٍ يَلْتَقيهِ ، وَيَقولُ لَهُ : « إلى أيْنَ أيُّها المَغْرورُ ؟ أ تَظُنُّ أنَّ في مُكْنَتِكَ أنْ تُبْطِلَ سِحْرَ السّاحِرَةِ كيركي ، وَتُخَلِّصَ رِجالَكَ مِنْ قَبْضَتِها ؟»

أحابَهُ أوديسيوسُ - في عَزْمٍ وإصْرارٍ - بِأنَّهُ سَيَبْذُلُ ما وَسِعَهُ مِنَ الجَهْدِ ، وَلَوْ ضَحّى في سَبيلِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ .

أكْبَرَ الشّابُّ الفَتِيُّ فيهِ عَزيمَتَهُ الَّتي لا تَعْرِفُ الحَوَرَ ، وَهِمَّتَهُ الَّتي لا يَتَطَرَّقُ إلَيْها الكَلَلُ . وَعِنْدَئِذٍ قَطَفَ زَهْرَةً بَيْضاءَ ناصِعَةً ، وَقَدَّمَها لأوديسْيوس قائلاً : « اِحْتَفِظْ بِهَذِهِ الزَّهْرَةِ ، حَتّى إذا ما سَقَتْكَ كيركي مِنْ شَرابِها ، وَهَمَّتْ أنْ تَمَسَّكَ بِعَصاها - أبْرِزْها في الحالِ ، وَقُلْ لَها إنَّ الإلهَ هيرميس هُوَ الَّذي أعْطاها لَكَ ، ثُمَّ اشْهَرْ سَيْفَكَ في وَجْهِها ، ولا تَتْرُكْها إلا بَعْدَ أنْ تَأخُذَ عَلَيْها العَهْدَ ألا تُؤْذِيَكَ بِسِحْرِها .»

واختَفى هيرميس بَعْدَ ذَلِكَ ، أمّا أودِيسْيوس فَقَدْ أخَذَ طَريقَهُ إلى ذَلِكَ المَنْزِلِ الأنيقِ البَديعِ في وَسَطِ الغابَةِ ، يُراوِدُهُ أمَلٌ قَوِيٌّ في تَخْليصِ رِجالِهِ مِمّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ كَرْبٍ ، بَعْدَ أنْ أسْدى لَهُ هيرميس النُّصْحَ ، وَدَلَّهُ عَلى الوَسيلَةِ الَّتي تُبْطِلُ سِحْرَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ . وَما إنْ بَلَغَ المَنْزِلَ الأنيقَ البَديعَ حَتّى أذِنَتْ لَهُ كيركي بِالدُّخولِ ، وَسَقَتْهُ مِنْ شَرابِها المَعْهودِ ، وَهَمَّتْ أنْ تَمَسَّهُ بِعَصاها السِّحْرِيَّةِ لِتَمْسَخَهُ مِثْلَ رِفاقِهِ السّابِقينَ . وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أنْ تَصِلَ إلَيْهِ عَصاها أظْهَرَ لَها الزَّهْرَةَ البَيْضاءَ النّاصِعَةَ ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ في وَجْهِها ، فَإذا بِها تَخِرُّ ساجِدَةً عِنْدَ قَدَمَيْهِ ، وَهِيَ تَقولُ لَهُ : « لا شَكَّ أنَّكَ أودِيسْيوس القادِمُ مِنْ إيثاكي أخْبَرَني هيرميس أنَّكَ سَتَزورُ جَزيرَتي في طَريقِ عَوْدَتِكَ إلى الوَطَنِ قادِماً مِنْ طُرْوادَة . تَعالَ ! فَلْتَكُنْ أصْدِقاءَ ، وَلا خَوْفَ عَلَيْكَ مِنْ سِحْري بَعْدَ اليَوْمِ !»

وَنادَتْ كيركي حادِماتِها ، وَأمَرَتْهُنَّ أنْ يُحْضِرْنَ شَهِيَّ الطَّعامِ وَلَذيذَ الشَّرابِ إلى الضَّيْفِ النَّبيلِ ، لَكِنَّهُ بَقِيَ ساكِناً لا يَجِدُ في نَفْسِهِ رَغْبَةً إلى الطَّعامِ ، وَلا مَيْلاً إلى الشَّرابِ ؛ وَإنَّما يَجِدُ فيهِما عُزوفاً عَنْهُما ، وَعِيافاً لَهُما .

سَألَتْهُ كيركي : « لِماذا لا تَطْعَمُ طَعامَنا ، وَلا تَشْرَبُ شَرابَنا ، وَقَدْ آمَنّاكَ مِنْ سِحْرِنا ، وَنَزَلْتَ فينا ضَيْفاً عَزيزاً ، وَصَديقاً نَبيلاً ؟»

نَظَرَ إِلَيْها بِعَيْنَيْنِ تَفيضانِ أَسًى وَحُزْنًا ، وَقالَ . « كَيْفَ أَسوغُ الطَّعامَ وَالشَّرابَ وَرِجالي خَنازيرُ بَرِّيَّةٌ في الحَظيرَةِ ؟» فَراقَها نُبْلُهُ ، وَأَغْطَمَتْ فيهِ أَلَمُهُ ، وَمَضَتْ تَخْطِرُ – في تيهٍ وَدَلالٍ – إِلى الحَظيرَةِ، فَمَسَّتْ بِعَصاها السِّحْرِيَّةِ تِلْكَ الخَنازيرَ البَرِّيَّةَ ، فَعادوا رِجالاً كَما كانوا مِنْ قَبْلُ .

وَشَدَّ ما كانَتْ فَرْحَتُهُمْ حينَ رَأَوْا أودِيسْيوس العَظيمَ أَمامَهُمْ ، فَراحوا يَحْمَدونَ لَهُ صَنيعَهُ ، وَيُثْلِجونَ صَدْرَهُ بِجَزيلِ الثَّناءِ عَلَيْهِ ، وَعَظيمِ الإِجْلالِ لَهُ .

أَمّا زُمَلاؤُهُمْ في السَّفينَةِ فَقَدْ ثَمِلَتْ بِالفَرْحَةِ أَجْسادُهُمْ ، وَانْتَشَتْ أَرْواحُهُمْ ، فَأَخَذوا يَهْتِرّونَ وَيَتَراقَصونَ حينَ أَبْصَروا أودِيسْيوس العَظيمَ يَهُلُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعيدٍ وَبِصُحْبَتِهِ الرِّجالُ .

وَأَخْبَرَ أودِيسْيوس الرِّجالَ بِرَغْبَةِ كيركي في اسْتِصافَتِهِمْ ، وَالإِقامَةِ مَعَها ما شاءوا الإِقامَةَ ، وَلَكِنَّ يُوريلُوخُوس خَوَّفَهُمْ مِنَ الاسْتِجابَةِ لِدَعْوَتِها ، وَحَذَّرَهُمْ مَغَبَّةَ الإِقامَةِ مَعَها ، فَقَدْ تَمْكُرُ بِهِمْ مَكْرًا سَيِّئًا ، وَتَمْسَحُهُمْ أُسودًا وَدِئابًا تَمْرَحُ وَتَعْبَثُ أَمامَ ذَلِكَ المَنْزِلِ الأَنيقِ البَديعِ . وَلَكِنَّهُمْ سَحِروا مِنْ مَخاوِفِهِ ، وَهَزِئوا بِتَحْذيرِهِ ، وَانْطَلَقوا جَميعًا إِلى ذَلِكَ المَنْزِلِ الأَنيقِ البَديعِ في وَسَطِ الغابَةِ ،

حَيْثُ يَجِدونَ عِنْدَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ المَأْوَى المُريحَ ، وَالطَّعامَ الشَّهِيَّ ، وَالشَّرابَ الحُلْوَ اللَّذيذَ . وَأَحْسَنَتْ كيركي اسْتِقْبالَهُمْ ، وَأَوْلَمَتْ لَهُمْ ، وَعاشوا في كَنَفِها آمِنينَ مُطْمَئِنّينَ عامًا كامِلاً .

وَلَكِنَّ الحَنينَ إِلى بِلادِهِمْ كانَ يَنْمو في صُدورِهِمْ ، وَالشَّوْقَ إِلى زَوْجاتِهِمْ أَخَذَ يَجْتاحُ قُلوبَهُمْ ، فَيُنَغِّصُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ إِقامَتَهُمْ الآمِنَةَ الوادِعَةَ أَيَّما تَنْغيصٍ ؛ فَرَغِبوا إِلى كيركي في أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ بِمُغادَرَةِ جَزيرَتِها شاكِرينَ لَها حُسْنَ ضِيافَتِها ، غَيْرَ عابِئينَ بِتَحْذيرِها لَهُمْ مِنَ المَخاطِرِ الَّتي تَتَرَصَّدُهُمْ ، وَالأَهْوالِ الَّتي تَتَرَبَّصُ بِهِمْ . فَلَمّا رَأَتْ صِدْقَ عَزْمِهِمْ لَمْ تَقِفْ حائِلاً دونَ رَغْبَتِهِمْ ؛ إِنَّما انْتَحَتْ جانِبًا بِأودِيسْيوس العَظيمِ النَّبيلِ ، وَحَذَّرَتْهُ مِمّا يَنْتَظِرُهُ مِنْ مَشَقّاتٍ ، وَما يَقِفُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ مِنْ عَقَباتٍ ، وَدَلَّتْهُ عَلى سُبُلِ النَّجاةِ إِنْ هُوَ وَعى قَوْلَها ، وَاسْتَجابَ لِنُصْحِها .

أَصْغى أودِيسْيوس لِكُلِّ لَفْظَةٍ نَطَقَتْ بِها شَفَتا كيركي إِصْغاءً تامًّا ، وَحَفَرَها في ذاكِرَتِهِ حَفْرًا عَميقًا ، ثُمَّ وَدَّعَها وَداعًا حارًّا ، يَنْضَحُ بِالشُّكْرِ وَالعِرْفانِ ، ثُمَّ أَبْحَرَ وَرِجالُهُ مِنْ جَديدٍ عَبْرَ البِحارِ المَجْهولَةِ .

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنْ إِبْحارِهِمْ كانَتِ الرّيحُ فيها رُخاءً طَيِّبَةً ، سَكَنَتِ

الرِّيحُ ، وَهَدَأتِ الأمْواجُ ، واستَقَرَّ البَحْرُ ، وَراحَ القَوْمُ يَتَطَلَّعون إلى الأُفُقِ . وَإذا جَزيرَةٌ جَميلَةٌ تَرْتَفِعُ أمامَ أعْيُنِهِمْ ، وَإذا صَوْتُ غِناءٍ عَذْبٍ شَجِيٍّ يَنْبَعِثُ مِنْها عَبْرَ الأثيرِ ، فَأدْرَكَ أوديسْيوس أنَّهُنَّ جَماعَةُ السِّيريناتِ ؛ أولئِكَ النِّسْوَةُ الجَميلاتُ الفاتِناتُ ، اللاّتي يَسْبِينَ قُلوبَ الرِّجالِ بِجَمالِهِنَّ الخَلّابِ ، وَيُسْكِرْنَ عُقولَهُمْ بِغِنائِهِنَّ العَذْبِ الرَّقيقِ ، فَيَجْتَذِبْنَهُمْ إلى جَزيرَتِهِنَّ . وَلَكِنْ ما مِنْ أحَدٍ شُنِّفَ سَمْعُهُ بِغِنائِهِنَّ ، وَسُحِرَ بِجَمالِهِنَّ ، وَاستَجابَ لِنِدائِهِنَّ ، وَرُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ أبَداً ، كَما أخْبَرَتْهُ كيركي .

وَبِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ أحَدَّ أوديسْيوس كُتْلَةً مِنْ شَمْعِ العَسَلِ ، قَطَّعَها أجْزاءً ، وَأمَرَ رِجالَهُ أنْ يَضَعوا الشَّمْعَ في آذانِهِمْ ، حَتّى لا يَنْفُذَ إلَيْها غِناءُ السِّيريناتِ العَذْبُ الرَّقيقُ ، وَيكونوا بِمَنْجاةٍ مِنَ الضَّياعِ في جَزيرَتِهِنَّ . لَكِنَّ أوديسْيوسَ كانَتْ نَفْسُهُ تَهْفو لِسَماعِ غِنائِهِنَّ العَذْبِ الشَّجِيِّ ، وَقَلْبُهُ يَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِلطَّرَبِ بِأصْواتِهِنَّ ، فَأمَرَ رِجالَهُ أنْ يَرْبُطوهُ بِالحِبالِ إلى صاري السَّفينَةِ رَبْطًا مُحْكَمًا ، وَألا يَفُكّوا قُيودَهُ مَهْما أمَرَهُمْ ، أوْ تَوَسَّلَ إلَيْهِمْ . وَفَعَلَ البَحّارَةُ ما طَلَبَ ، ثُمَّ جَدَّفوا بِسَفينَتِهِمْ أمامَ الجَزيرَةِ ، وَانسابَتِ الأصْواتُ الجَميلَةُ الفاتِنَةُ إلى أُذُنَيْ أوديسْيوس . وَكانَ يَسْمَعُ غِناءَ السِّيريناتِ الفاتِناتِ وَهُنَّ يُنْشِدْنَ لَهُ : « اُمْكُثْ مَعَنا يا أوديسْيوس ، وَسَنَمْنَحُكَ كُلَّ

المَعْرِفَةِ وَالحِكْمَةِ ، وَسَعُلِّمُكَ أَشْياءَ كَثيرَةً ما كانَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَها . سَوْفَ تَكونُ أَحْكَمَ رَجُلٍ عَلى سَطْحِ الأَرْضِ .»

وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ تَحْذيرِ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ كيركي لَهُ ، فَإِنَّهُ فُتِنَ بِسِحْرِ أَصْواتِهِنَّ ، وَحُلِبَ لُبُّهُ بِعَذْبِ غِنائِهِنَّ . وَراحَ يُصارِعُ الحِبالَ الَّتي تُقَيِّدُهُ ، لَكِيْ يَفُكَّ وَثاقَهُ ، وَيَقَعَ فيما حَذَّرَ مِنْهُ رِجالَهُ ، وَلَكِنَّ يُوريلُوخوس أَخَذَ يُضاعِفُ مِنْ قُيودِهِ ، وَيَزيدُ وَثاقَهُ إِحْكاماً ، وَيَحُثُّ البَحّارَةَ عَلى سُرْعَةِ التَّجْديفِ ، حَتّى مَرَقَتِ السَّفينَةُ مِنْ أَمامِ الجَزيرَةِ بِسَلامٍ .

وَلَمّا أَصْبَحَ الرِّجالُ بِمَأْمَنٍ مِنْ أَصْواتِ السّيريناتِ الجَميلاتِ الفاتِناتِ نَزَعوا الشَّمْعَ مِنْ آذانِهِمْ ، وَفَكّوا وَثاقَ أُودِيسْيوس العَظيمِ .

الفصل الثالث
الصَّخْرَةُ وَالدُّوّامَة

أَبْعَدَتِ السَّفينَةُ في البَحْرِ مُحَلِّقَةً وَراءَها جَزيرَةَ السّيريناتِ الجَميلاتِ الفاتِناتِ ، وَإِذا هِيَ تَبْلُغُ مَضيقاً كانَ عَلَيْها أَنْ تَعْبُرَهُ حَتّى تَصِلَ البَحْرَ الواسِعَ العَريضَ وَكانَ يَقومُ عَلى جانِبَيْ هَذا المَضيقِ الوَعْرِ صَخْرَتانِ سَوْداوانِ شامِخَتانِ ؛ كانَتِ اليُمْنى مِنْهُما غَيْرَ ذاتِ خَطَرٍ يُذْكَرُ فَيُخْشَى ، وَأَمّا اليُسْرى فَكانَتْ تَكْمُنُ تَحْتَها دُوّامَةٌ عَنيفَةٌ فَظيعَةٌ تُسَمّى « خاريبديس » بِوُسْعِها أَنْ تَبْتَلِعَ السَّفينَةَ دُفْعَةً واحِدَةً . وَفي أَسْفَلِ الطَّرَفِ الأَيْمَنِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ كانَ ثَمَّةَ كَهْفٌ تَعيشُ فيهِ أُنْثى وَحْشٍ تُدْعى « سْكولا » ، وَكانَتْ مُرَوِّعَةً حَقّاً ؛ تُرَوِّعُ النّاسَ بِشَناعَةِ خِلْقَتِها كَما تُرَوِّعُهُمْ بِشَناعَةِ فِعْلِها ، فَلَها رُءوسٌ سِتَّةٌ وَهَذِهِ الرُّءوسُ لا تَنْتَصِبُ انْتِصاباً قَويماً

فَوْقَ الأعْناقِ ، كَما أَلِفَ النّاسُ فيما يَرَوْنَ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، وَإِنَّما يَتَدَلّى كُلُّ رَأْسٍ مِنْ طَرَفِ عُنُقٍ طَويلٍ رَفيعٍ ، كَأَنَّما شُدَّ إِلَيْهِ بِخَيْطٍ دَقيقٍ ، وَفي كُلِّ رَأْسٍ فَمٌ ذو صُفوفٍ ثَلاثَةٍ مِنَ الأَسْنانِ ، لا يُعْيِيها شَيْءٌ ، وَلا يُعْجِزُها قَصْمٌ . وَمِنْ كُلِّ فَمٍ يَبْرُزُ اثْنا عَشَرَ لِسانًا ، لِكُلِّ لِسانٍ طَرَفٌ مُدَبَّبٌ يَنْتَهي بِمَخالِبَ حادَّةٍ ، تُمَكِّنُها مِنَ الظَّفَرِ بِفَرائِسِها في يُسْرٍ وَسُهولَةٍ .

ذَلِكَ ما أَحْرَتْ بِهِ كيركي السّاحِرَةُ الماهِرَةُ الفاتِنَةُ أوديسْيوس العَصيمَ ، وَحَذَّرَتْهُ إِيّاهُ ، فَإِذا كانَتِ الدُّوّامَةُ تَسْتَطيعُ أَنْ تَبْتَلِعَ السَّفينَةَ فَإِنَّ سْكولا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْتَرِسَ سِتَّةً مِنْ رِجالِهِ وَلِذا أَمَرَ أوديسْيوس العَظيمُ رِجالَهُ أَنْ يُحَدِّفوا بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ بِالقُرْبِ مِنْ يَمينِ الصَّخْرَةِ ، حَتّى يَمُرُّقوا مِنَ المَضيقِ ، وَيَتَفادَوُا الوُقوعَ في شَرَكِ الدُّوّامَةِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنَبِّئْهُمْ بِأَمْرِ سْكولا الَّتي تَحْتَبِئُ في كَهْفِها أَسْفَلَ يَمينِ الصَّخْرَةِ. وَبَيْنَما كانَ البَحّارَةُ مُنْهَمِكينَ في التَّجْديفِ ، يَبْذُلونَ مِنَ الجَهْدِ ما وَسِعَهُمْ ، وَيَرْقُبونَ الدُّوّامَةَ في قَلَقٍ بالِغٍ وَحَذَرٍ شَديدٍ ، خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ سْكولا مِنْ مَخْبَئِها فَلَقِفَتْ مِنْهُمْ سِتَّةَ رِجالٍ ، فَيَدِبُّ الذُّعْرُ في صُفوفِ الرِّجالِ ، وَتَصيرُ نُفوسُهُمْ فَرَقًا وَرُعْبًا ، وَيَتَعالى صُراخُهُمْ يَسْتَنْجِدونَ العَوْنَ ، وَيَطْلُبونَ النَّجْدَةَ . وَلَكِنَّ أوديسْيوس العَظيمَ لا يَمْلِكُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا ، وَلا يَسْتَطيعُ لَهُمْ عَوْنًا !

عَبَرَتِ السَّفينَةُ المَضيقَ ، وَانْطَلَقَتْ إِلى البَحْرِ الواسِعِ العَريضِ ، وَقَدْ تَجَسَّدَ الرُّعْبُ في البَحّارَةِ ، فَزاعَتْ مِنْهُمُ الأَبْصارُ ، وَتَلَعَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ ، لِفَرْطِ ما لاقَوْا مِنَ الأَهْوالِ ، وَلِفَرْطِ ما كانوا يُعانونَ مِنْ أَلَمِ الحُزْنِ المُمِضِّ عَلى إِخْوانِهِمُ الَّذينَ اخْتَطَفَتْهُمْ سكولا . وَلِذلِكَ كانوا في مَسيسِ الحاجَةِ إِلى قِسْطٍ مِنَ الرّاحَةِ ، يَلْتَقِطونَ فيهِ أَنْفاسَهُمْ ، وَيَلُمّونَ شَعَثَهُمْ ، بَعْدَ أَنْ أَنْهَكَهُمُ التَّعَبُ ، وَهَدَّهُمُ الحُزْنُ .

وَشَدَّ ما كانَتْ فَرْحَتُهُمْ بِبَصيصٍ مِنَ الأَمَلِ يَبْرُقُ في نُفوسِهِمُ البائِسَةِ ، عِنْدَما تَناهى إِلى سَمْعِهِمْ صَوْتُ أَبْقارٍ تَرْعى الكَلَأَ ، وَتَمْرَحُ في الحُقولِ ، فَتَطَلَّعَتْ أَبْصارُهُمْ نَحْوَ مَصْدَرِ الصَّوْتِ فَإِذا حَزيرَةٌ تَرْتَفِعُ عَلى مَدِّ الأَبْصارِ ، فَتَعالَتْ صَيْحاتُهُمْ بِطَلَبِ الرّاحَةِ في هَذِهِ الجَزيرَةِ . وَلَكِنَّ أوديسْيوس العَظيمَ تَذَكَّرَ تَحْذيرَ كيركي السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ لَهُ مِنْ هَذِهِ الجَزيرَةِ . إِنَّها جَزيرَةُ « ثريناكيا » ، تَعيشُ فَوْقَها أَبْقارُ الشَّمْسِ وَماشِيَتُها المُقَدَّسَةُ ، تَسْرَحُ وَتَمْرَحُ كَما تَشاءُ ، وَلَوْ أَنَّ رِجالَهُ ذَبَحوا مِنْ هَذِهِ الأَبْقارِ وَأَكَلوا لُحومَها لَقَضَوْا جَميعًا !

أَعْلَنَ أوديسْيوس العَظيمُ إِلى الرِّجالِ تَحْذيرَ السّاحِرَةِ الماهِرَةِ الفاتِنَةِ كيركي ، وَرَغِبَ إِلَيْهِمْ في أَنْ يُجَدِّفوا بَعيدًا عَنْ هَذِهِ

الحَريرَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُصيخُوا لَهُ سَمْعًا ، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ صاحَ بُوريلُوخُوس بِأَنَّ النَّصَبَ قَدْ مَسَّ القَوْمَ مَسًّا عَنيفًا ، وَأَنَّ اللُّعوبَ قَدْ نالَ مِنْهُمْ مَنالاً ، وَلا سَبيلَ لَهُمْ إلى التَّجْديفِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَحْطَوْا بِقِسْطٍ مِنَ الرّاحَةِ . فَلَمّا لَمْ يَجِدْ أُودِيسْيوس العَظيمُ مَفَرًّا مِنَ الرُّضوخِ لِرَغْبَتِهِمْ ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدًا أَلا يَمَسُّوا أَبْقارَ الشَّمْسِ المُقَدَّسَةَ وَماشِيَتَها بِأَذًى ، وَأَلا يَقْرَبوا لُحومَها مَهْما كانَ الأَمْرُ ؛ فَأَجابوهُ إلى ما طَلَبَ ، وَأَلْقَوْا مَراسِيَ سَفينَتِهِمْ عَلى الشّاطِئِ .

وَتَناوَلَ الرِّجالُ عَشاءَهُمْ ، وَأَراحوا فَوْقَ رِمالِ الشّاطِئِ أَجْسادَهُمُ المُنْهَكَةَ ، وَنُفوسَهُمُ المُرْهَقَةَ ، ثُمَّ راحوا في سُباتٍ عَميقٍ .

وَفي أَثْناءِ اللَّيْلِ هَبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ أَحالَتِ البَحْرَ أَمْواجًا مُتَلاطِمَةً كَالجِبالِ ، مِمّا جَعَلَ الرِّجالَ يَتَشَبَّثونَ بِمَكانِهِمْ عَلى الشّاطِئِ وَيَخْشَوْنَ أَشَدَّ الخَشْيَةِ مُجابَهَةَ البَحْرِ الهائِجِ بِسَفينَتِهِمُ الصَّغيرَةِ واسْتَمَرَّتِ الحالُ عَلى ذَلِكَ شَهْرًا كامِلاً ، نَفِدَ فيهِ مَخْزونُ الطَّعامِ والشَّرابِ الَّذي كانَ مُدَّخَرًا في السَّفينَةِ ، وَأَصْبَحَ الرِّجالُ يُقاسونَ لَذْعَ الجوعِ وَحَرارَةَ الظَّمَأِ ، فَلَمْ يَجِدوا أَمامَهُمْ سِوى أَبْقارِ الشَّمْسِ وَماشِيَتِها المُقَدَّسَةِ ، الَّتي زَيَّنَ لَهُمْ بُوريلُوخُوس ذَبْحَ بَعْضِها اتِّقاءَ

لِلْجوعِ الَّذي كادَ يَقْضي عَلَيْهِمْ ، وَإِنقاذاً لِحَياتِهِمْ . وَإِذا بِهِمْ تَحْتَ ضَغْطِ الجوعِ وَتَزْيينِ يُوريلُوخُوس يَنْقُضونَ العَهْدَ وَالميثاقَ الَّذي كانَ أودِيسْيوس العَظيمُ قَدْ أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْبَحونَ بَعْضَ الماشِيَةِ المُقَدَّسَةِ ، وَيَنْعَمونَ بِأَكْلِ شِوائِها ، وَيَجِدونَ في ذَلِكَ لَذَّةً وَمُتْعَةً .

وَبَيْنَما كانَ الرِّجالُ يَسْعَدونَ بِهَذِهِ الوَليمَةِ المَشْئومَةِ كانَ أودِيسْيوس العَظيمُ قَدْ تَسَلَّقَ تَلًّا مِنَ التِّلالِ المُجاوِرَةِ ، وَراحَ يُصَلّي في ضَراعَةٍ وَتَوَسُّلٍ لِلآلِهَةِ ، رَجاءَ أَنْ تُنْقِذَهُمْ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ بَلاءٍ ، وَتُخَلِّصَهُمْ مِمّا هُمْ فيهِ مِنْ مِحْنَةٍ ، ثُمَّ افْتَرَشَ حَصَى كَهْفٍ في التَّلِّ وَنامَ . وَلَمّا أَشْرَقَ الصَّباحُ سَعى عائِداً إِلى السَّفينَةِ ، فَزَكَمَتْ أَنْفَهُ رائِحَةُ الشِّواءِ ؛ فَأَدْرَكَ شَناعَةَ الجَريمَةِ الَّتي ارتَكَبَها الرِّجالُ ، وَتَجَلَّدَ يُقاوِمُ عَضَّ الجوعِ ، وَمَرارَةَ الحِرْمانِ ، وَلَمْ يَذُقِ الطَّعامَ المَشْئومَ الَّذي طَلَّ رِجالُهُ يَطْعَمونَ مِنْهُ سِتَّةَ أَيّامٍ كامِلَةٍ .

وَحينَ هَدَأَتِ الرّيحُ ، وَاستَقَرَّ هِياجُ البَحْرِ بَعْدَ ذَلِكَ – رَكِبَ الرِّحالُ سَفينَتَهُمْ وَأَبْحَروا في طَريقِ عَوْدَتِهِمْ إِلى بِلادِهِمْ ، لَكِنَّ جَريمَتَهُمُ الشَّنْعاءَ أَخَذَتْ تُلاحِقُهُمْ ؛ فَبَيْنَما هُمْ في عُرْضِ البَحْرِ الواسِعِ الزّاخِرِ هَبَّتْ عَلَيْهِمْ ريحٌ عاصِفَةٌ ، وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ ، وَأَحاطَ بِهِمْ ، فَتَحَطَّمَتْ سَفينَتُهُمْ وَغَرِقوا جَميعاً ، ما عدا

أوديسْيوس العَظيمَ ، الَّذي نَجَحَ في رَبْطِ نَفْسِهِ بِصاري السَّفينَةِ المُهَشَّمِ رَبْطًا مُحْكَمًا حَتّى غَدا هُوَ وَالصّاري المُهَشَّمُ قِطْعَةً واحِدَةً .

وَظَلَّ أوديسْيوس العَظيمُ يُغالِبُ الأَمْواجَ ، وَالأَمْواجُ تُغالِبُهُ ، يُجَدِّفُ بِيَدَيْهِ ما وَسِعَهُ الجَهْدُ حينًا ، وَيَتْرُكُ نَفْسَهُ لِحَرَكَةِ المِياهِ تَدْفَعُهُ حينًا آخَرَ ، حَتّى أَلْقَتْ بِهِ الأَمْواجُ بَعْدَ لأْيٍ عَلى شاطِئٍ رَمْلِيٍّ لإِحْدى الجُزُرِ . في هَذِهِ الجَزيرَةِ كانَتْ تَعيشُ حورِيَّةٌ جَميلَةٌ فاتِنَةٌ تُدْعى كاليبسو ، وَقَدْ عَثَرَتْ عَلى أوديسْيوس العَظيمِ فَوْقَ رِمالِ الشّاطِئِ ، وَقَدْ نالَ مِنْهُ الإِعْياءُ مَنالاً أَفْقَدَهُ وَعْيَهُ ، فَعُنِيَتْ بِهِ ، حَتّى أَفاقَ ، وَقامَتْ عَلى رِعايَتِهِ حَتّى اسْتَرَدَّ قُوَّتَهُ . وَفي خِلالِ ذَلِكَ كانَ قَدْ شَغَفَها حُبًّا ، فَاحْتَفَظَتْ بِهِ إِلى جِوارِها سَبْعَ سَنَواتٍ كامِلَةٍ ، ما نَغَّصَ عَلَيْهِ سَعادَتَهُ فيها إِلا هَذا الحَنينُ الَّذي يَتَنامى في صَدْرِهِ إِلى وَطَنِهِ ، وَهَذا الشَّوْقُ العارِمُ الَّذي يَسْتَبِدُّ بِهِ إِلى زَوْجَتِهِ ! لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ الوَسيلَةَ الَّتي يَسْتَجيبُ بِها لِهَذا الحَنينِ ، وَيُطْفِئُ بِها عُلَّةَ هَذا الشَّوْقِ ، وَأَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ ما كانَ مُسْتَطيعًا – حَتّى لَوْ تَيَسَّرَتْ لَهُ الوَسيلَةُ – أَنْ يُبارِحَ هَذِهِ الجَزيرَةَ ؛ فَقَدْ بَسَطَتْ عَلَيْهِ كاليبسو رُواقَ حُبِّها ، وَسُلْطانَ حَنانِها ، فَما يَسْتَطيعُ التَّمَرُّدَ عَلَيْهِ ، وَلا الإِفْلاتَ مِنْهُ !

وَلَكِنَّ الآلِهَةَ كانَتْ إِلى جِوارِهِ ، تَتَعَهَّدُهُ بِعِنايَتِها ، وَتَحوطُهُ

بِرِعايَتِها ، وَتُشْفِقُ عَلَيْهِ ، وَتَرْثي لَهُ ؛ فَأَرْسَلَتِ الإِلهَ هيرميس إِلى الحورِيَّةِ الجَميلَةِ الفاتِنَةِ كاليبسو ، الَّتي سَرْعانَ ما تَعَرَّفَتْ عَلى الإِلهِ الخالِدِ ، لأَنَّها تُشارِكُهُ الخُلودَ ، وَقَدَّرَتْ أَنَّ وَراءَ زِيارَتِهِ لَها أَمْرًا ذا بالٍ . وَأَقامَتْ لَهُ مَأْدُبَةً عامِرَةً بِطَعامِ الآلِهَةِ « الأمبروسْيا » وَشَرابِها « النَّكْتار » ، ثُمَّ سَأَلَتْهُ كاليبسو بَعْدَ أَنْ طَعِمَ وَارْتَعَشَ مِنَ الشَّرابِ عَنْ سِرِّ حُضورِهِ، فَقالَ لَها :

« أَرْسَلَني إِلَيْكِ الإِلهُ ريوس لأُبَلِّغَكِ أَنَّ عِنْدَكِ شَخْصًا يَجْتاحُهُ حَنينٌ شَديدٌ إِلى وَطَنِهِ ، وَشَوْقٌ عارِمٌ إِلى زَوْجِهِ . إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ شُجْعانِ الإِغْريقِ الَّذينَ أَبْلَوْا بَلاءً حَسَنًا في حَرْبِ طُرْوادَةَ طَوالَ عَشْرِ سِنينَ ، حَتّى تَمَكَّنوا مِنْ دَحْرِها وَالاسْتيلاءِ عَلَيْها . وَإِذا كانَ قَدْ أَساءَ هُوَ وَرِجالُهُ إِلى الآلِهَةِ وَهُمْ في طَريقِ عَوْدَتِهِمْ إِلى بِلادِهِمْ ، فَإِنَّ الآلِهَةَ قَدْ أَنْزَلَتْ بِهِمْ مِنَ العِقابِ ما يَسْتَحِقُّونَ ، وَإِنَّ عَلَيْكِ الآنَ أَنْ تَتْرُكي أوديسْيوس يَرْحَلُ عائِدًا إِلى وَطَنِهِ ، فَإِنَّ الآلِهَةَ لا تَوَدُّ لَهُ أَنْ يَقْضِيَ نَحْبَهُ في بِلادٍ غَريبَةٍ .»

اِنْقَبَضَ قَلْبُ كاليبسو وَاعْتَصَرَهُ الحُزْنُ ؛ إِذْ كَيْفَ تَأْذَنُ لأوديسْيوس العَظيمِ في أَنْ يَمْضِيَ إِلى بِلادِهِ مُفارِقًا لَها وَهُوَ روحُ حَياتِها ، وَرَيْحانَةُ قَلْبِها ! لَكِنْ لا بُدَّ مِنْ طاعَةِ الآلِهَةِ ، وَالإِذْعانِ لأَمْرِها ، وَمِنْ ثَمَّ راحَتْ تَبْحَثُ عَنِ الرَّجُلِ البَئيسِ التَّعيسِ ، فَإِذا بِها

تَجِدُهُ جالِساً عَلى صَخْرَةٍ فَوْقَ شاطِئِ البَحْرِ ، يَكادُ يَذوبُ وَجْداً ، وَيَحْتَرِقُ شَوْقاً ، يُرْسِلُ نَظَراتٍ حَزينَةً والِهَةً إلى بُعْدٍ حَيْثُ تَكونُ بِلادُهُ وَزَوْجُهُ ، فَقالَتْ لَهُ :

« أيْ أُودِيسْيوس العَظيمُ ؛ فَلْتَنْسَ هُمومَكَ ، وَلْتَطَّرِحْ آلامَكَ ، فَقَدْ حَنَتْ عَلَيْكَ الآلِهَةُ ، وَرَقَّتْ لَكَ قُلوبُها ، وَأَمَرَتْ أَنْ تَعودَ إلى وَطَنِكَ وَزَوْجِكَ ، وَلا سَبيلَ لي سِوى طاعَةِ أَمْرِها . قُمْ واصْنَعْ لِنَفْسِكَ مَرْكَباً ، وَسَأُعْطيكَ مِنَ الزّادِ ما يَكْفيكَ ، وَسَأُعينُكَ بِرِياحٍ مُعْتَدِلَةٍ ، حَتّى تَبْلُغَ وَطَنَكَ آمِناً سالِماً . »

عَمَرَتِ الفَرْحَةُ قَلْبَ أُودِيسْيوس العَظيمِ ، وَفاضَ البِشْرُ عَلى وَجْهِهِ ، وَتَلاحَقَتْ كَلِماتُ الشُّكْرِ عَلى لِسانِهِ ؛ فَقَدْ وَقَعَ ما كانَ يَظُنُّهُ بَعيداً .

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي أَعَدَّتْ لَهُ كاليبسو أَدَواتِ النِّجارَةِ ، وَسَعى هُوَ يَحْتَطِبُ الأَشْجارَ ، وَطَفِقَ يَصْنَعُ لِنَفْسِهِ فُلْكاً . لَقَدْ أَرادَها فُلْكاً مَتينَةً قَوِيَّةً ، ذاتَ صارٍ وَأَشْرِعَةٍ ، تَقْوى عَلى شَقِّ عُبابِ البَحْرِ ، وَمُلاطَمَةِ أَمْواجِهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ كانَ يَعْمَلُ بِهِمَّةٍ لا تَكِلُّ ، وَعَزيمَةٍ لا تَلينُ ، حَتّى فَرَغَ مِنْ صُنْعِها في أَيّامٍ خَمْسَةٍ .

وَكانَتْ كاليبسو تُراقِبُ صَنيعَهُ ، وَتُقَدِّرُ عالِيَ هِمَّتِهِ ، عَلى الرَّغْمِ

مِمّا سَتُكابِدُهُ مِنْ أَلَمِ الفِراقِ ، وَتُقاسيهِ مِنْ هَوْلِ البِعادِ ! وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعَدَّتْ لَهُ مِنَ الطَّعامِ الشَّهِيِّ وَالشَّرابِ اللَّذيذِ ما يَكْفيهِ ، وَأَهْدَتْهُ هَدايا ثَمينَةً جَميلَةً ، تَسُرُّ الخاطِرَ ، وَتُبْهِجُ الفُؤادَ .

ثُمَّ حانَتْ لَحْظَةُ الوَداعِ ، وَما أَشَدَّ لَحْظَةَ الوَداعِ عَلى المُحِبّينَ !

مَضى أُودِيسْيوس العَظيمُ يَمْخُرُ عُبابَ البَحْرِ بِفُلْكِهِ ، يَرْقُصُ طائِرُ الفَرَحِ في قَلْبِهِ ، وَيُزَغْرِدُ الشَّوْقُ في صَدْرِهِ ، أَمَلاً في العَوْدَةِ إلى أَرْضِهِ ، عَلى حينَ لَبِثَتْ كاليبسو عَلى شاطِئِ جَزيرَتِها ساكِنَةً مُتَأَلِّمَةً تَجْتَرُّ ذِكْرَياتِ سَبْعِ سِنينَ ، تَذَوَّقَتْ فيها مِنَ السَّعادَةِ أَلْواناً ، وَمِنَ الهَناءَةِ صُنوفاً . وَكانَ في وُسْعِ أُودِيسْيوس العَظيمِ النَّبيلِ أَنْ يَسْتَديمَها ، لَوْلا أَنَّهُ آثَرَ أَنْ يَعيشَ وَيَموتَ عَلى تُرابِ وَطَنِهِ ، وَفي أَحْضانِ زَوْجِهِ « پينيلوپي » .

الفصل الرابع

العودة إلى الوطن

بارَحَ أُوديسْيوس العَظيمُ النَّبيلُ جَزيرَةَ كاليبسو الحورِيَّةِ الجَميلَةِ الفاتِنَةِ ، وَظَلَّ سَبْعَةَ عَشَرَ يوْمًا يَجوبُ البِحارَ تَسوقُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ نحْوَ إيثاكي سَوْقًا رَفيقًا ، يَحْدوهُ أَمَلٌ قَوِيٌّ في الوُصولِ إلى وَطَنِهِ ، وَالالتقاءِ بِزَوْجِهِ وَ وَلَدِهِ . وَفي اللَّيْلَةِ الأخيرَةِ أَحَسَّ باحتِكاكِ سَفينَتِهِ بِاليابِسَةِ . ولما كانَ مُنْهَكًا مِنْ طولِ الرِّحْلَةِ ، فَقَدْ أَلْقى بِجِسْمِهِ المُنْهَكِ عَلى رِمالِ الشّاطِئِ وَراحَ يَغِطُّ في نَوْمٍ عَميقٍ .

وَحينَ مَسَّهُ ضَوْءُ النَّهارِ استَيْقَظَ مَوْفورَ القُوَّةِ والنَّشاطِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُمَيِّزَ شَيْئًا مِنْ مَعالِمِ المَكانِ الَّذي رَسا فيهِ ، فَيَعْرِفُ أَنَّهُ عَلى أَرْضِ بِلادِهِ جَزيرَةِ إيثاكي ؛ فَقَدْ رَأى عَمامَةً داكِنَةً تُغَطّي الجَوَّ ، وَتُخْفي البَرَّ ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ في مَكانٍ غَريبٍ عَنْ وَطَنِهِ . وَخُيِّلَ إِلَيْهِ

أَنَّ الآلِهَةَ وأَحْزانَهُ ما زالَتْ تَتَجَدَّدُ وَتَتَمَدَّدُ ، وَراحَ يَمْشي حَيْثُ وَذَهابًا فَوْقَ رِمالِ الشّاطِئِ كاسِفَ البالِ ، مَحْزونَ الفُؤادِ . وَفَجْأَةً وَجَدَ أَمامَهُ شابًّا ، كَأَنَّما نَجَمَ لَهُ مِنَ الأَرْضِ كما يَنْجُمُ النَّباتُ ، أَوْ هَبَطَ عَلَيْهِ مِنَ السَّماءِ كَما تَهْبِطُ الآلِهَةُ . كانَ شابًّا فَتِيًّا ، وَسيمَ المَلامِحِ ، حُلْوَ التَّقاطيعِ ، يُلاعِبُ رُمْحًا في يَدِهِ ، وَتَبْدو عَلَيْهِ سيماءُ المَهابَةِ والجَلالِ وَسَأَلَهُ أُوديسْيوس عَنِ المَكانِ الَّذي هُوَ فيهِ ، فَقالَ لَهُ الشّابُّ :

« يَبْدو أَيُّها الغَريبُ أَنَّكَ قادِمٌ مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ . هَذِهِ جَزيرَةُ إيثاكي . »

سُرَّ أوديسْيوس العَظيمُ النَّبيلُ بِجَوابِ الفَتى أيَّما سُرورٍ ، فَقَدْ أيْقَنَ أنَّهُ الآنَ فَوْقَ تُرابِ وَطَنِهِ ، لَكِنَّهُ أخْفى سُرورَهُ بَيْنَ جَوانِحِهِ ، وَلَمْ يَبْدُ عَلى وَجْهِهِ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلَمْ يَكْشِفْ لِلشّابِّ عَنْ هُوِيَّتِهِ ، فَقَدْ كانَ يُساوِرُهُ الشَّكُّ في شَبابِ إيثاكي ، وَكَيْفِيَّةِ استِقْبالِهِمْ لَهُ بَعْدَ هذا الغِيابِ الطَّويلِ . وَلِذَلِكَ تَظاهَرَ لِلْفَتى بِأنَّهُ رَجُلٌ كريتِيٌّ ، قادِمٌ مِنْ جَزيرَةِ كريت في سفينةٍ فينيقيَّةٍ ، وَقَدْ وَعَدَهُ الفينيقيّونَ أنْ يَحْمِلوهُ في سَفينَتِهِمْ إلى بيلوس . بَيْدَ أنَّ الرِّياحَ دَفَعَتْهُمْ بَعيداً عَنْ طَريقِهِمْ ، فَأَلْقَوْا مَراسِيَهُمْ عَلى الشّاطِئِ وَلَفَّهُمُ النَّوْمُ بِرِدائِهِ ، وَحينَما صَحا مِنْ نَوْمِهِ وَجَدَ القَوْمَ قَدْ أبْحَروا وَتَرَكُوه نائِماً .

ضَحِكَ الفَتى الوَسيمُ ضَحِكاً شَديداً مِنْ حَديثِ أوديسْيوس ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « إنَّ لَكَ يا أوديسْيوس لِساناً ذَرِباً ، وَذَكاءً خارِقاً ؛ ومَع ذَلِكَ لَمْ تَعْرِفْني ! أنا الرَّبَّةُ أثينة الَّتي أعانَتْكَ في طُرْوادَة ، وَهأنَذا أسْعى إلَيْكَ لأحَذِّرَكَ مِنْ أعْدائِكَ الكَثيرينَ الَّذين يَتَرَبَّصونَ بِكَ الدَّوائِرَ في إيثاكي ، فَلا تَكْشِفْ عَنْ هُوِيَّتِكَ لأحَدٍ . »

قالَ أوديسْيوس : « لَكِنَّكِ أيَّتُها الرَّبَّةُ العَظيمَةُ لَمْ تُقَدِّمي لي شَيْئاً مِنَ العَوْنِ ، وأنا أقاسي الأهْوالَ في البِحارِ وَأراكِ الآنَ تَسْخَرينَ مِنّي ! أحَقّاً هَذِهِ هِيَ بِلادي ؟ »

قالَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة : « لَمْ يَكُنْ في وُسْعي أنْ أُقَدِّمَ لَكَ عَوْناً مّا في البَحْرِ ، فَلَمْ أكُنْ أودُّ أنْ أدْخُلَ في صِراعٍ مَعَ شَقيقي بوسيدون إلهِ البَحْرِ ، وَقَدْ كانَ عاضِباً مِنْكَ ، صائِقاً بِكَ ، بَعْدَ أنْ سَلَبْتَ ابنَهُ العِملاقَ عَيْنَهُ . تَعالَ لأُرِيَكَ أنَّ هَذِهِ هِيَ إيثاكي . » ثُمَّ بَدَّدَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ العَمامَةَ الدَّكْناءَ الَّتي كانَتْ تُغَطّي الجَوَّ ، وَتُخْفي السِّرَّ ، فَبَدَتْ إيثاكي واضِحَةَ المَعالِمِ ، فَاستَقَرَّ خاطِرُهُ ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ . ثُمَّ شَرَحَتْ لَهُ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثينة كَيْفِيَّةَ التَّغَلُّبِ عَلى خُصومِهِ وَالقِصاصِ عَلى أعْدائِهِ ، حَتّى وَلَوِ اضْطُرَّ إلى أنْ يَلْقاهُمْ مُنْفَرِداً .

وبِإشارَةٍ مِنْ يَدِها حَوَّلَتْهُ إلى حالٍ غَيْرِ حالِهِ ، فَإذا هُوَ شَيْخٌ عَجوزٌ ، يَرْتَدي أسْمالاً بالِيَةً ، قَدْ مَسَّهُ الضُّرُّ ، وَأشْقاهُ العَوَزُ وَالحِرْمانُ . إنَّهُ شَحّاذٌ يَسْتَدِرُّ العَطْفَ ، وَيُثيرُ الإشْفاقَ !

وقالَتْ لَهُ : « عَلَيْكَ الآنَ أنْ تَذْهَبَ إلى كُوخ « يومايوس » الرّاعي ، وَسَتَعْرِفُ مِنْهُ أنْباءً كَثيرَةً عَنْ بَلَدِكَ وَزَوْجِكَ ، كَما سَتَعْرِفُ السِّرَّ الَّذي يَكْمُنُ وَراءَ إخْفاءِ هُوِيَّتِكَ . وَلْتَبْقَ عِنْدَهُ حَتّى يَعودَ وَلَدُكَ « تيليماخوس » الَّذي يَزورُ « هيليي » و « مينيلاوس » في إسبرطة الآنَ ، وَسَآمُرُهُ بِالعَوْدَةِ إلَيْكَ مُسْرِعاً .

وَفي الحالِ تَسَلَّقَ أودِيسْيوس العَظيمُ التِّلال المُؤَدِّيَةَ إلى الحَقْلِ الَّذي يَرْعى فيه يومايوس قُطعانَهُ . وَبِجوارِ الحَظيرَةِ وحَدَ الرّاعِيَ يَجْلِسُ وحيداً أمامَ كوخِهِ البَسيطِ في سُكونٍ وَإطْراقٍ . تُرى ما الأفْكارُ الَّتي كانَتْ تَدورُ بِرَأسِهِ ، وَما الأحْلامُ الَّتي كانَتْ تُداعِبُ خَيالَهُ ؟

لَقَدْ كانَ يومايوس رَجُلاً بَسيطاً مُخْلِصاً لِلْمَلِكِ العَجوزِ « لايرتيس » وَعائلَتِهِ ، شَديدَ الوَلاءِ لَهُ ، وَالإيمانِ بِهِ . وَلَعَلَّ ما كانَ يَراهُ في القَصْرِ المَلَكِيِّ مَعَ شُعورِهِ بِالعَجْزِ والإحْباطِ هُوَ الَّذي كانَ يُقْلِقُ بالَهُ ، ويُرْهِقُ ذِهْنَهُ ! وَلَكِنَّهُ يَرْفَعُ رَأسَهُ المُطْرِقَةَ فَيَرى شَحّاذاً تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ ، وَمَسَّهُ الضُّرُّ ، يَقِفُ أمامَهُ ، فَيَهُشُّ في وَجْهِهِ ، وَيُقَدِّمُ لَهُ مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ما يَسُدُّ جوعَهُ ، ويَرْوي عَطَشَهُ . وَمَعَ أنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّعَرُّفَ عَلى شَخْصِيَّتِهِ إلا أنَّهُ وَجَدَ راحَةً وَتَسْرِيَةً في أنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ الكَثيرَ مِنْ أنْباءِ القَصْرِ ، وَزَوْجِهِ پينيلوپي وَابْنِهِما تيليماخوس الَّذي كانَ طِفْلاً صَغيراً يَوْمَ سافَرَ أبوهُ أودِيسْيوس إلى طُرْوادَة . وَلَكِنَّهُ اليَوْمَ غَدا شاباً فَتِيّاً يُناهِزُ العِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ

وَكانَ مِمّا أخْبَرَهُ بِهِ – دونَ أنْ يَعْرِفَ شَخْصَهُ – أنَّ پينيلوپي زَوْجَةَ أودِيسْيوس تَعيسَةٌ أقْصى ما تَكونُ التَّعاسَةُ ؛ فَقَدْ طالَتْ غَيْبَةُ زَوْجِها البَطَلِ العَظيمِ ، وانْقَطَعَتْ أخْبارُهُ ، حَتّى ظَنَّ الكَثيرونَ أنَّهُ قَدْ

ماتَ وَنَما الظَّنُّ فَأَضْحى يَقيناً بِطولِ الزَّمَنِ ، وَنَظَرَتْ پينيلوپي حَوْلَها فإذا ابنُها صَبِيٌّ صَغيرٌ ، وَإذا لايرتيس والِدُ زَوْجِها قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ وَأَصْبَحَ عاجِزاً عَنْ إدارَةِ دَفَّةِ البِلاد بِحِكْمَةٍ وَرَشادٍ . وَإذا البِلادُ تَكادُ تَخْلو مِنْ مَلِكٍ ، وَإذا الطّامِعونَ في الزَّواجِ بِها وَفي المُلْكِ يَتَقاطَرونَ وَيَتَكاثَرونَ مِنْ شَبابِ إيثاكي الَّذينَ شَتّوا أَثْناءَ حَرْبِ طَرْوادَة ، وَإذا بَعْضُهُمْ تَبْلُغُ بِهِ الصَّفاقَةُ وَسوءُ الأَدَبِ أَنْ يُقيمَ في القَصْرِ ، يَأْكُلُ طَعامَ پينيلوپي وَيَشْرَبُ شَرابَها وَيُصِرُّ هَؤُلاءِ الَّذين قَدْ تَبْلُغُ عِدَّتُهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً أَلا يَرْجِعوا عَنْ فِعْلِهِمْ حَتّى تَخْتارَ پينيلوپي مِنْ بَيْنِهِمْ زَوْجاً يَصيرُ عَلى إيثاكي مَلِكاً ، مُتَجاهِلينَ في صَلَفٍ وَغُرورٍ – أَنَّ تيليماحوس هُوَ الأميرُ الشَّرْعِيُّ لِلْبِلادِ ، وَأَنَّ سِنَّهُ اليَوْمَ تُؤَهِّلُهُ لِتَوَلّي الأُمورِ . وَلَكِنَّهُمْ كانوا – لِفَرْطِ صَلَفِهِمْ وَتَوَحُّشِهِمْ – يُعامِلونَهُ بِقَسْوَةٍ وَفي خُشونَةٍ ، وَقَدْ يَبْلُغُ بِهِمْ سوءُ الأَدَبِ أَنْ يُهينوهُ ، وَيُحاوِلوا إذْلالَ كِبْرِيائِهِ .

وَحينَ لَمْ تَجِدِ الزَّوْجَةُ الوَفِيَّةُ مَناصاً مِنَ التَّعامُلِ مَعَ هَؤُلاءِ الشَّبابِ ، رَأَتْ أَنَّ الحيلَةَ قَدْ تَكونُ أَحْدى الوَسائِلِ في مُعامَلَتِهِمْ ، فَأَعْلَنَتْ إلَيْهِمْ أَنَّها قَرَّرَتْ أَنْ تَخْتارَ مِنْ بَيْنِهِمْ رَوْحاً يَصيرُ مَلِكاً مَتى فَرَغَتْ مِنْ نَسْجِ هَذا الرداءِ الَّذي تَعْمَلُ فيهِ . وَانطَلَتِ الحيلَةُ عَلَيْهِمْ ، فَكانَتْ تَعْكُفُ النَّهارَ كُلَّهُ عَلى النَّسْجِ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ ،

حَتّى إذا ما جَنَّ اللَّيْلُ ، وَانصَرَفَ الشَّبابُ مِنَ القَصْرِ ، نَقَضَتْ نَسْجَها ، وَراحَتْ في الصَّباحِ الجَديدِ تُعاوِدُ العَمَلَ . وَلَكِنَّ هَؤُلاءِ الشَّبابَ نَفِدَ صَبْرُهُمْ لِطولِ ما نَسَجَتْ وَنَقَضَتْ ، وَهُمْ لا يَدْرونَ . وَأَبْدى يومايوس تَخَوُّفَهُ مِنْ أَنْ يَدْفَعَهُمْ فِقْدانُ الأَمَلِ إلى استِخْدامِ القُوَّةِ ؛ لِكَيْ تَخْتارَ پينيلوپي زَوْجاً مِنْ بَيْنِهِمْ يَصيرُ مَلِكاً .

أَثارَتْ هَذِهِ الأَنْباءُ أوديسْيوس إثارَةً بالِغَةً ، وَأَزْعَجَتْهُ بِشِدَّةٍ ؛ إذْ هِيَ تُسْفِرُ عَنْ حَقيقَةٍ بَشِعَةٍ ، مِنْ شَأْنِها أَنْ تُؤْذِيَ الضَّمائِرَ الأَبِيَّةَ ، وَالْقُلوبَ الذَّكِيَّةَ ، هِيَ : عَدَمُ وَلاءِ شَبابِ إيثاكي لِمَليكِهِمْ وَمُناصَبَتُهُمْ إيّاهُ العِداءَ ، وَاجْتِراؤُهُمْ عَلى حُرْمَةِ قَصْرِهِ وَزَوْجِهِ وَ وَلَدِهِ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْبِسَ دُموعاً حَذِرَةً ، تَرَقْرَقَتْ في عَيْنَيْهِ ثُمَّ انسابَتْ في هُدوءٍ عَلى خَدَّيْهِ ، الأَمْرُ الَّذي أَدْهَشَ الرّاعِيَ الأَمينَ ، فَأَخَذَ يُمْطِرُهُ بِوابِلٍ مِنَ الأَسْئِلَةِ اللاهِفَةِ عَنْ شَخْصِهِ وَاسْمِهِ ، وَماذا يَكونُ عِنْدَهُ مِنْ أَنْباءٍ عَنْ مَليكِهِمُ الغائِبِ .

وَأَخْبَرَهُ أوديسْيوس أَنَّ مَليكَهُمْ سَرْعانَ ما سَيَعودُ ، أَمّا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ رَجُلٌ كِريتِيٌّ قاتَلَ في حَرْبِ طَرْوادَة ، وَتَعاوَرَتْ عَلَيْهِ المِحَنُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ ، حَتّى تَحَطَّمَتْ سَفينَتُهُ عَلى شَواطِئِ قُطْرٍ مُجاوِرٍ ، وَهُناكَ تَناهَتْ إلى سَمْعِهِ أَخْبارٌ عَنْ أوديسْيوس العَظيمِ ، وَأَنَّهُ لا يَزالُ

حَيًّا ، وَأَنَّهُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ إلى الوَطَنِ ، وَقَدْ يَكونُ ذَلِكَ أَسْرَعَ مِمَّا يَظُنّونَ .

لَمْ تَسْتَطِعْ هَذِهِ القِصَّةُ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ قَلْبِ الرّاعي الأَمينِ مَبْلَغَ اليَقينِ ، وَلَكِنَّهُ أَكْرَمَ الشَّحّاذَ ، وَأَحْسَنَ ضِيافَتَهُ ، الَّذي راحَ يُمْتِعُهُ بِالقَصَصِ عَنْ حِصارِ طُرْوادَةَ حَتّى لَفَّهُما النَّوْمُ بِرِدائِهِ .

وَفي أَثْناءِ ذَلِكَ كانَتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أَثينة تَعُدُّ السَّيْرَ في طَريقِها إلى إسْبَرْطة حَيْثُ بَلَغَتْ مَنْزِلَ ميـيلاوس فَوَجَدَتْ تيليماخوس يَسْتَلْقـي عَلى ظَهْرِهِ مُسْتَيْقِظًا ، وَكَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ قُدومَهـا ، وَيَتَرَقَّبُ طُهورَها فَأَنْبَأَتْهُ أَنَّ أُمَّهُ تَكادُ تَعْصِفُ بِها أَزْمَةٌ طاحِنَةٌ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُبْحِرَ فَوْرًا إلى إيثاكي لِيَكونَ إلى جِوارِ أُمِّهِ في طَرْفِها العَصيبِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ إذا ما وَصَلَ إيثاكي أَنْ يُرْسِلَ بَحّارَتَهُ إلى البَلْدَةِ ، ثُمَّ يَمْضيَ مُنْفَرِدًا عَبْرَ التِّلالِ لِيَلْقى الراعِي .

وَحين أَشْرَقَ الصَّباحُ وَدَّعَ تيليماخوس هيليني ومينيلاوس بَعْدَ أَنْ كَشَفَ لَهُما عَنْ زِيارَةِ الرَّبَّةِ العَظيمَةِ أثينة لَهُ ، وَما أَنْبَأَتْهُ بِهِ . وَفي اللَّحْظَةِ الَّتي كانَ يَهُمُّ فيها بِمُبارَحَةِ القَصْرِ هَبَطَ نَسْرٌ ضَخْمٌ مِنَ السَّماءِ ، وَخَطَفَ إِوَزَّةً بَيْضاءَ ، حَمَلَها بَيْنَ مَخالِبِهِ وَفي مِنْقارِها بَقِيَّةٌ مِمّا كانَتْ تأكُلُ مِنْ حَشائِشَ ، وَصارَ بِها بَعيدًا . وَفَسَّرَتْ

هيليني هذا الحدث بأنّ أوديسيوس سيهبط إلى إيثاكي كما هبط النسر ، وسيقضي على أعدائه في خطفة قوية كما خطف النسر الإوزة ، ولعله الآن موجود في إيثاكي يرسم خطة القضاء على أعدائه ، والانتقام منهم .

سرّ تيليماخوس بهذا التنبؤ أيما سرور ، وشكر هيليني ، على ما بثّته في نفسه من أمل حلو ، وطار إلى سفينته يمخر عباب البحر وينفذ تنفيذاً دقيقاً ما أمرته به الربة العظيمة أثينة .

وبينما كان الراعي والسحّاد يشعلان النار لطهو طعام إفطارهما، أبصر الراعي الأمين كلاب الحقل ترحب بشاب يقترب من الكوخ ، وتبصبص بأذنابها له ، فلما اقترب واستطاعت عين الراعي أن تتبين ملامحه عرف أنه تيليماخوس فركض إليه يرحب بمقدمه ، ويهنئه بسلامة وصوله . وما إن ولج الشاب الكوخ حتى نهض السحّاد العجوز من مقعده ، غير أنّ الأمير الشاب طلب إليه – في حنوّ بالغ – أن يجلس ويستريح ؛ فما عليه من بأس في هذه السن ألا ينهض لتحية الأمير ، وما على الأمير من بأس في أن يقدم التحلة والتوقير لشيوخ بلاده .

وبعد الفراغ من الطعام كان على الراعي الأمين أن يسعى

إلى القصر ، ليعلن على پينيلوپي خبر عودة ابنها سالماً آمناً من إسبرطة . وما كاد الراعي الأمين يسرع خطاه متجها صوب القصر حتى نبحت كلاب الحقل ساحا قوياً عنيفاً ، وبدا عليها كثير من الرعب والفزع ، مما لم يستطع له الرجلان تفسيراً ، غير أنّ حدثا عظيماً وقع أو سيقع ! وفي الحال ظهرت الربة العظيمة أثينة لأوديسيوس وحده ، وأمرته أن يكشف لابنه عن هويته ، ويعرفه بشخصيته ، فقد صارا منفردين . ثم مسته بعصاها فإذا هو قد تبدل شأنه ، وإذا الفتى يرى أمامه رجلاً قوي البنيان ، جميل المحيا ، عليه سيماء المهابة والجلال ، يرتدي الثياب الملكية ، فتخيل الفتى أنه أمام أحد الآلهة ، ولكن أوديسيوس قال له : « لست إلها ، ولكنني أبوك .»

وأقبل الأمير الشاب على أبيه يقبله ويعانقه ، كما أقبل أبوه عليه وفي جوانحه لهفة ولوعة ما يمكن تصورهما . ودام العناق يطفئان به حرقة العياب الطويل ، ولطى الشوق المرير ، ثم طفقا يبكيان من شدة الفرح .

وطلب أوديسيوس العظيم إلى ابنه أن يروي له المزيد من أخبار أولئك الشباب ، الذين لم يرعوا لمليكهم حرمة ، فاجترءوا

عَلى قَصْرِه ، وَعاشوا فيهِ ، وَأهانوهُ . فَقَصَّ عَلَيْهِ الأميرُ الشّابُّ مِنْ خَبَرِهِمْ : أنَّهُمْ مَعَ أصْدِقائِهِمْ وَمَعارِفِهِمْ مِائَةُ شابٍّ وَثَمانِيَة ، سُيوفُهُمْ مُثَبَّتَةٌ إلى جُنوبِهِمْ ، لكِنَّهُمْ لا يَلْبَسونَ حوذاتٍ أوْ دُروعًا أوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عُدَّةِ الحَرْبِ .

قالَ أوديسْيوس لِوَلَدِهِ إنَّهُ يَأمُلُ بِمُساعَدَةِ الرَّبَّةِ العَظيمَةِ أثيبة أنْ يَقْهَرَهُمْ جَميعًا . وَأنْ يُطَهِّرَ القَصْرَ مِنْ إثْمِهِمْ . ثُمَّ طَلَبَ إلَيْهِ أنْ يَعودَ مُسْرِعًا إلى القَصْرِ ، وَأنْ يُعْرِضَ عَنْ إهاناتِ أولَئِكَ الشَّبابِ وَحَماقاتِهِمْ ، وَأنْ يَعْمَلَ حينَما تُواتيهِ الفُرْصَةُ على إقْصاءِ جَميعِ الدُّروعِ وَالأسِنَّةِ المُعَلَّقَةِ فَوْقَ حوائِطِ السّاحَةِ الكُبْرى ، وَأنْ يُخْفيَها في مَخازِنِ السِّلاحِ ، عَلى أنْ يَحْتَفِظَ مِنْها بِسَيْفَيْنِ وَرُمْحَيْنِ وَدِرْعَيْنِ لاسْتِخْدامِهِما . وَسَيَحْضُرُ هُوَ إلَيْهِ في الصَّباحِ في هَيْئَةِ الشَّحّادِ العَجوزِ ، وَعَلَيْهِ ألا يُظْهِرَ لَهْفَةً في لِقائِهِ ، وَلا فَرْحَةً بِعَوْدَتِهِ ، فَإنَّهُ يَجِبُ ألا يَعْرِفَ أحَدٌ حَقيقَةَ أنَّ الشَّحّادَ العَجوزَ هُوَ أوديسْيوسُ .

وَما إنْ فَرَغا مِنْ حَديثِهِما ، وَتَبَيَّنا تَفاصيلَ خُطَّتِهِما ، حَتّى مَسَّتِ الرَّبَّةُ العَظيمَةُ أثيبة أوديسْيوس بِعَصاها ، فَعادَ شَحّادًا طاعِنًا في السِّنِّ مِسْكينًا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أنْ يَعودَ الرّاعي الأمينُ مِنَ القَصْرِ المَلَكِيِّ .

الفصل الخامس

أوديسْيوس في القصر

في الصَّباحِ عادَ الأميرُ الشّابُّ تيليماحوس إلى القَصْرِ المَلَكِيِّ ، وَراحَ يُسَلّي أمَّهُ ، وَيُسَرّي عَنْها ، وَيُفْصِحُ لَها في أمَلٍ - عَمّا تَنَبَّأتْ بِهِ هيليني . وَلَكِنَّ الأمَّ لَمْ تَكُنْ راضِيَةً عَنْ هيليسي ، وَلا مُحِبَّةً لَها ، بَلْ كانَ يَضيقُ صَدْرُها بِذِكْرِها ، وَتَعُدُّها أكْبَرَ مَصْدَرٍ لِما تُصادِفُهُ مِنْ مَشَقّاتٍ وصِعابٍ ، وَما تُعانيهِ مِنْ آلامٍ وَأحْزانٍ . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَليلٍ وَصَلَ القَصْرَ الشَّحّادُ العَجوزُ ، ذو الأسْمالِ البالِيَةِ ، وَالثِّيابِ الرَّثَّةِ ، يَصْحَبُهُ الرّاعي الأمينُ الَّذي لا يَعْرِفُ عَنْ شَخْصِهِ شَيْئًا . وَما إنْ وَلَجَ الرَّجُلانِ ساحَةَ القَصْرِ حَتّى هَبَّ كَلْبٌ عَجوزٌ يُرَحِّبُ بِالشَّحّاذِ المِسْكينِ ، وَيَهُزُّ ذَيْلَهُ فَرِحًا ، وَيَلْعَقُ يَدَي الشَّحّاذِ وَقَدَمَيْهِ وَيَطوفُ في بُطْءٍ حَوْلَهُ ، ثُمَّ سَقَطَ مَيِّتًا . إنَّهُ الكَلْبُ « أرغوس » كَلْبُ أوديسْيوس الَّذي كانَ يَرْعاهُ وَيُبادِلُهُ المَحَبَّةَ

وَالحَنانَ . لَقَدْ عَرَفَ صاحِبَهُ ، وَلَكِنَّ تَقَدُّمَ سِنِّهِ ، وَ وَهَنَ قُوَّتِهِ ، حالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُقَدِّمَ لِصاحِبِهِ مِنَ التَّحِيَّةِ وَالإِجْلالِ ما يَنْبَغي أَنْ يُقَدَّمَ لِمِثْلِهِ ، فَكانَتْ هَذِهِ النَّبَراتُ الحافِتَةُ الضَّعيفَةُ الَّتي تُصَوِّرُ مَعَ خُفوتِها – صِدْقَ عاطِفَةِ أرغوس وَعُمْقَ وَفائِهِ لِسَيِّدِهِ · تَصْويراً بارِعاً دَقيقاً . وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ لِوَهَنِ قُوَّتِهِ – أَنْ يَتَحَمَّلَ فَجاءَةَ المَوْقِفِ وَحَرارَةَ اللِّقاءِ ، وَطُغْيانَ الفَرْحَةِ ، فَما إِنِ اكْتَحَلَتْ عَيْناهُ بِمَرْأَى سَيِّدِهِ الجَميلِ حَتّى أَغْمَضَهُما عَلى مَنْظَرِهِ المَهيبِ ، وَراحَ في سُباتٍ أَبَدِيٍّ عَميقٍ .

دَخَلَ الرّاعي الأَميرُ قاعَةَ القَصْرِ ، بَيْنَما أَلْقى الشَّحّاذُ المِسْكينُ جَسَدَهُ الضَّعيفَ فَوْقَ أَريكَةٍ خَشَبِيَّةٍ لَدى الباب ، وَشَرَعَ يَلْحَظُ ما حَوْلَهُ في حَذَرٍ دَقيقٍ . وَما إِنْ أَبْصَرَهُ الأَميرُ الشّابُّ حَتّى أَمَرَ الرّاعِيَ أَنْ يَحْمِلَ لَهُ مِنَ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ ما يَكْفيهِ ، وَلَمّا تَناوَلَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ مِنَ الطَّعامِ ما طابَتْ بِهِ نَفْسُهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَ أَرْيَحِيَّةَ أُولَئِكَ الشَّبابِ وَكَرَمَهُمْ ، الَّذينَ كانوا يَجْلِسونَ إِلى المائِدَةِ الكَبيرَةِ يُولِمونَ ، فَبَدَأَ يَسْعى بَيْنَهُمْ يَطْلُبُ العَوْنَ . فَمَدَّ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ يَدَهُ بِفُتاتِ الخُبْزِ وَقِطَعِ العَظْمِ ، بَيْنَما سَخِرَ مِنْهُ أَنتينوس وَرَماهُ بِكُرْسِيٍّ صَغيرٍ فَأَصابَهُ بِجُرْحٍ غائِرٍ في أَحَدِ كَتِفَيْهِ .

قالَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ · « أَتَمَنّى أَنْ يَموتَ هَذا الشّابُّ قَبْلَ يَوْمِ زِفافِهِ .» أَمّا الآخَرونَ فَقَدْ صاقوا بِفَعْلَةِ صاحِبِهِمْ أَنتينوس وَلاموهُ بِعُنْفٍ عَلى إِتْيانِهِ هَذا العَمَلَ المُنْكَرَ القَبيحَ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُجاوِزوا اللَّوْمَ وَالإِنْكارَ .

وَكانَتْ پينيلوپي بِحَيْثُ تَشْهَدُ ما حَدَثَ ، فَطَلَبَتْ إِلى الرّاعي الأَميرِ يومايوس أَنْ يُحْضِرَ إِلَيْها ذَلِكَ الشَّحّاذَ المِسْكينَ ، عَلَّها تَسْمَعُ مِنْهُ خَبَراً ، أَوْ تُطَيِّبُ خاطِرَهُ ، وَتَأْسو جُرْحَهُ وَلَكِنَّ الشَّحّاذَ المِسْكينَ أُوديسْيوس الَّذي لَمْ تَسْتَطِعْ پينيلوپي أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلى شَخْصِيَّتِهِ – بَعَثَ إِلَيْها يَقولُ إِنَّهُ قَدْ ضُرِبَ في ساحَةِ القَصْرِ عَلى مَرْأًى مِنْها وَمَسْمَعٍ ، وَما هُوَ بِمُسْتَطيعٍ أَنْ يَحُطَّ في هَذِهِ السّاحَةِ إِلا عِنْدَما يَحِلُّ المَساءُ ، وَيَنْصَرِفُ هَؤُلاءِ الشَّبابُ الحَمْقى إِلى بُيوتِهِمْ .

وَلَمّا تَوارَتِ الشَّمْسُ بِالحِجابِ ، وَنَشَرَ المَساءُ أَرْدِيَتَهُ الدّاكِنَةَ فَوْقَ السّاحَةِ ، وَخَلَتْ مِنْ أُولَئِكَ الشَّبابِ الحَمْقى ، أَسْرَعَ أُوديسْيوس وابْنُهُ الأَميرُ الشّابُّ يُخْلونَ السّاحَةَ مِمّا عُلِّقَ فَوْقَ حُدْرانِها مِنَ الأَسْلِحَةِ ، وَيُلْقونَ بِها بَعيداً في المَخازِنِ ثُمَّ ذَهَبَ الأَميرُ الشّابُّ إِلى فِراشِهِ لِيَنالَ نَصيباً مِنَ الرّاحَةِ ؛ متأهباً لِيَوْمٍ عَظيمٍ . أَمّا أُوديسْيوس فَلَبِثَ في السّاحَةِ قائِماً يَنْتَظِرُ قُدومَ پينيلوپي وما إِنْ هَبَطَتْ إِلَيْهِ

حَتّى بادَرَتْهُ بِالسُّؤالِ عَنْ هُوِيَّتِهِ ، وَعَمّا إذا كانَ يَحْمِلُ أَخْبارًا عَنْ زَوْجِها العَظيمِ أُودِيسْيوس .

اِسْتَهَلَّ الشَّحّاذُ المِسْكينُ حَديثَهُ بِإطْراءِ جَمالِ پينيلوپي وَامْتِداحِ فِتْنَتِها ، فَقَدْ كانَتْ لا تَزالُ ساحِرَةَ الجَمالِ ، بارِعَةَ الفِتْنَةِ ، لا تَسْتَطيعُ العَيْنُ أَنْ تَعْبُرَها دونَ أَنْ تَرْنُوَ إِلَيْها طَويلاً ، تَتَمَلّى مَجالِي حُسْنِها ، وَتَسْرَحُ في مَواطِنِ سِحْرِها ، مُتَجاهِلاً بِذَلِكَ جَوابَ سُؤالِها .

وَأَعادَتْ عَلَيْهِ سُؤالَها ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ في أَنْ يُحَدِّثَها عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَنْبَأَها أَنَّهُ أَميرٌ كِريتِيٌّ ، لَمْ يَذْهَبْ إِلى طُرْوادَةَ وَلَمْ يُشارِكْ في حَرْبِها ، وَلَكِنَّهُ التَقى أُودِيسْيوس عِنْدَما زارَ الرَّحُلَ العَظيمَ في حَزيرَةِ كِريت ، وَهُوَ في طَريقِهِ إِلى طُرْوادَةَ . وَلَمّا كانَتْ پينيلوپي قَدِ اسْتَمَعَتْ إِلى الكَثيرِ مِنَ القَصَصِ الكاذِبَةِ عَنْ زَوْجِها أَرادَتْ أَنْ تَخْتَبِرَ مَدى صِدْقِ هَذا الغَريبِ في حَديثِهِ ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ الدِّثارِ الَّذي كانَ يَتَدَثَّرُ بِهِ أُودِيسْيوس إِذا كانَ قَدْ رَآهُ حَقّاً وَالتَقاهُ فَأَجابَها الشَّحّاذُ المِسْكينُ بِأَنَّ زَوْجَها كانَ يَرْتَدي عَباءَةً أُرْجُوانِيَّةَ اللَّوْنِ ، مُثَبَّتَةً بِمِشْبَكٍ عَلى هَيْئَةِ كَلْبٍ مِنْ كِلابِ الصَّيْدِ .

عِنْدَئِذٍ فاضَتْ عَيْنا پينيلوپي بِالدُّموعِ ، وَتَأَكَّدَ لَها صِدْقُ ما رَواهُ

الشَّحّاذُ المِسْكينُ ، فَهِيَ الَّتي أَعْطَتْ زَوْجَها تِلْكَ العَباءَةَ وَذَلِكَ المِشْبَكَ . وَحينَئِذٍ شَعَرَ أُودِيسْيوس بِمَدى تَأْثيرِ كَلامِهِ في نَفْسِ پينيلوپي ، فَمَضى في حَديثِهِ ، يُنْبِئُها بِأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ زَوْجَها لا يَزالُ حَيّاً ، وَإِنْ كانَ قَدْ فَقَدَ جَميعَ بَحّارَتِهِ ، وَأَنَّهُ في طَريقِهِ إِلى وَطَنِهِ ، بَلْ إِنَّهُ واثِقٌ كُلَّ الوُثوقِ مِنْ أَنَّ أُودِيسْيوس العَظيمَ سَيَكونُ هُنا في إيثاكي في أَحَدِ أَيّامِ هَذا العامِ .

أَطْرَقَتْ پينيلوپي إِطْراقَةً واجِمَةً ، وَهِيَ مُتَحَيِّرَةٌ بَيْنَ التَّصْديقِ وَالتَّكْذيبِ . قَلْبُها يُزَيِّنُ لَها التَّصْديقَ ، وَيَحُثُّها عَلَيْهِ وَيُغْريها بِمَظاهِرِ البَهْجَةِ وَالحُبورِ الَّتي سَتَعُمُّ القَصْرَ وَتَعُمُّ الوَطَنَ حينَما يَعودُ الغائِبُ المُرْتَقَبُ ، وَعَقْلُها يُزَيِّنُ لَها التَّكْذيبَ ، وَيَحُثُّها عَلَيْهِ . فَإِذا كانَ الشَّحّاذُ العَريبُ قَدْ لَقِيَ زَوْجَها حَقّاً فَقَدْ كانَ ذَلِكَ وَهُوَ في طَريقِ ذَهابِهِ إِلى طُرْوادَةَ ، لا في طَريقِ عَوْدَتِهِ مِنْها ، وَقَدْ مَضَتْ عَلى ذَلِكَ سِنونَ طَويلَةٌ .

وَرَفَعَتْ رَأْسَها وَعَلى وَجْهِها أَماراتُ الحَيْرَةِ ، وَدَلائِلُ الإِرْهاقِ ، وَطَلَبَتْ إِلى المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يُوريكْليا أَنْ تَغْسِلَ قَدَمَيِ الشَّحّاذِ المِسْكينِ بِالماءِ الدّافِئِ ، وَأَنْ تُضَمِّدَ جُرْحَ كَتِفِهِ . وَنَهَضَتِ العَجوزُ لِتَلْبِيَةِ ما طَلَبَتْ سَيِّدَتُها ، وَأَشاحَ أُودِيسْيوس بِوَجْهِهِ بَعيداً عَنْ وَهَجِ النّيرانِ ، حَتّى لا تَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ العَجوزُ ، وَلَكِنَّها عَلى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ –

لاحَظَتْ شَبَهًا قَوِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيِّدِها الغائِبِ المُرْتَقَبِ ، وَتَأَكَّدَ لَها ذَلِكَ حينَما وَجَدَتْ في إحْدى ساقَيْهِ أَثَرَ نُدبَةِ ذَلِكَ الجُرْحِ العَميقِ الَّذي كانَ قَدْ أُصيبَ بِهِ سَيِّدُها في إحدى رِحْلاتِ صَيْدِهِ قَبْلَ زَواجِهِ . هَذا الجُرْحُ الَّذي ما كانَتْ عَيْنُ الأَمَةِ العَجوزِ لِتُخْطِئَهُ أَبَدًا ، وَهِيَ الَّتي طالَما نَظَّفَتْهُ وَضَمَّدَتْهُ حينَذاكَ . فَابْتَسَمَتْ لَهُ ، وَهَمَسَتْ بِاسْمِهِ ، فَأَشارَ إِلَيْها أُودِيسْيوس أَنْ تَلْزَمَ الصَّمْتَ ، فَاسْتَحابَتْ وَانْصَرَفَتْ مُطْمَئِنَّةً راضِيَةً .

وَلَكِنَّ پينيلوپي لَبِثَتْ في مَكانِها لا تَريمُ ، تَجِدُ في نَفْسِها رَغْبَةً قَوِيَّةً في الحَديثِ مَعَ الغَريبِ ، وَالإفْصاءِ لَهُ بِمَكْنونِ نَفْسِها ، وَالإفْصاحِ لَهُ عَنْ أَطْواءِ ضَميرِها . فَقَدْ غَدَتْ عاجِزَةً عَنْ مُقاوَمَةِ الرِّجالِ المُسَلَّحينَ في طَلَبِ الزَّواجِ بِها ، المُصِرّينَ عَلى أَنْ تَخْتارَ مِنْ بَيْنِهِمْ واحِدًا تَتَزَوَّجُهُ ، وَيُتَوَّجَ مَلِكًا عَلى إيثاكي ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تُفَكِّرُ في حيلَةٍ تُحْبِطُ بِها أَمَلَهُمْ ، وَتُظْهِرُ بِها عَجْزَهُمْ وَفَشَلَهُمْ . لَقَدْ تَرَكَ زَوْجُها أُودِيسْيوس قَوْسًا عَظيمَةً ، لا يَتَأَتّى ثَنْيُها وَالرَّمْيُ عَنْها إلا لِرَجُلٍ مَتينِ البُنْيانِ ، مَفْتولِ السّاعِدِ ، قَوِيِّ العَضَلاتِ . كَما تَرَكَ اثْنَيْ عَشْرَةَ بَلْطَةً ، في نَصْلِ كُلٍّ مِنْها ثُقْبٌ . وَكانَ مِنْ عادَتِهِ أَنْ يَصُفَّ البَلْطاتِ صَفًّا واحِدًا مُسْتَقيمًا ، ثُمَّ يَرْمِيَ بِالسَّهْمِ فَيَنْفُذَ مِنْ بَيْنِ الثُّقوبِ جَميعًا . إِنَّها سَتُحْضِرُ البَلْطاتِ ، وَسَتُحْضِرُ القَوْسَ ، وَتُعْلِنُ إلى الرِّجالِ أَنَّ مَنِ اسْتَطاعَ مِنْهُمْ أَنْ يَصْنَعَ صَنيعَ أُودِيسْيوس مِنْ ثَنْيِ القَوْسِ ، وَنَفاذِ السَّهْمِ مِنْ بَيْنِ ثُقوبِ البَلْطاتِ جَميعِها فَهُوَ الَّذي سَيَكونُ لَهُ حَقُّ الزَّواجِ بِها ، وَسَيَكونُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُتَوَّجَ عَلى إيثاكي مَلِكًا .

هَدَّأَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ مِنْ رَوْعِها ، وَطَمْأَنَ خاطِرَها مُفْصِحًا لَها عَنِ اعْتِقادِهِ في أَنَّ أُودِيسْيوس العَظيمَ سَيَكونُ هُنا قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ أَيٌّ مِنَ الرِّجالِ الاثْنَيْ عَشَرَ مِنْ ثَنْيِ قَوْسِهِ وَالرَّمْيِ بِها ، وَغَدًا

تَعودُ القَوْسُ إلى باريها . وَابتَسَمَ لَها ، فَوَلَّتَ عَنْهُ تَتَقاذَفُ نَفْسَها مَشاعِرُ الأَمَلِ وَالرَّجاءِ وَمَشاعِرُ اليَأسِ وَالقُنوطِ . وَلَكِنَّها لَمْ تَمْلِكْ إلا أَنْ تُحَيِّيَهُ تَحِيَّةَ المَساءِ ، ثُمَّ تَتَّجِهَ إلى غُرْفَتِها لِتَنامَ ، بَيْنَما رَقَدَ أُودِيسْيوس عَلى أَرْضِ السّاحَةِ الكُبْرى في القَصْرِ المَلَكِيِّ يُفَكِّرُ في العَدِ المُنْتَظَرِ .

الفصل السادس

نِهاية الصِّراع

في الصَّباحِ الَّذي كانَ يَنْتَظِرُهُ أُودِيسْيوس وَابنُهُ الأميرُ الشّابُّ بِصَبْرٍ نافِدٍ ، وَحِسٍّ مُتَوَفِّزٍ ، جاءَ الرِّجالُ الاِثْنا عَشَرَ يَصْطَحِبونَ مَعَهُمْ أَصْدِقاءَهُمْ وَمَعارِفَهُمْ إلى ساحَةِ القَصْرِ المَلَكِيِّ كَعادَتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ ، يَأْكُلونَ طَعامَ بينيلوبي وَيَشْرَبونَ شَرابَها وَيَسْخَرونَ مِنْ وَلَدِها . وما إنِ اجتَمَعَ شَمْلُهُمْ في السّاحَةِ حَتَّى هَبَطَتْ إلَيْهِمْ بينيلوبي في زينَتِها ، تَحْمِلُ في يَدَيْها قَوْسَ زَوْجِها ، وَمِنْ خَلْفِها خادِماتُها يَحْمِلْنَ صُنْدوقًا بِهِ الاِثْنتا عَشْرَةَ بَلْطَةً ؛ فَتَطَلَّعَ الجَميعُ إلَيْها مَبْهورينَ بِجَمالِها ، مَسْحورينَ بِفِتْنَتِها ، وَسَرَتْ بَيْنَهُمْ هَمْهَمَةٌ لا تَكادُ تَبينُ وَأَشارَتْ إلَيْهِمْ أَنْ يَصْمُتوا ، فَصَمَتوا كَأَنَّ عَلى رُءوسِهِمُ الطَّيْرَ ، ثُمَّ قالَتْ : « لَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَتَّخِذَ مِنْ بَيْنِكُمْ زَوْجًا ، يَصيرُ على إيثاكي

مَلِكًا .» وَهُنا اشرَأَبَّتْ أعْناقُهُمْ نَحْوها ، وَحمْلَقَتْ عُيونُهُمْ فيها ، وَتَخيَّلَ كُلٌّ مِنْهُمْ أنَّهُ الزَّوْجُ المُنْتَظَرُ ، فَهُوَ أكْمَلُ الرِّجالِ خُلُقًا ، وَأذْكاهُمْ عَقْلاً ، وأنْفذُهُمْ بَصيرَةً ، وَأبْعَدُهُمْ عَنِ النَّقائصِ الَّتي يَتَّصِفُ بِها غَيْرُهُ .

قالَتْ پِينيلوبي : « وَلَكِنْ لا بُدَّ مِنْ وَسيلَةٍ أخْتارُ بِها مِنْ بَيْنِكُمْ رَجُلاً . إنّي لَنْ أتَزَوَّجَ إلا مَنْ يَسْتَطيعُ أنْ يَصْنَعَ مِثْلَ ما كانَ يَصْنَعُ أوديسْيوس . يَثْني القَوْسَ ، وَيَرْمي عَنْها بِسَهْمٍ ، يَمْرُقُ مِنْ ثُقوبِ نِصالِ البَلْطاتِ جَميعِها هاكُمُ القَوْسَ وَالسِّهامَ وَالبَلْطاتِ !»

وَكانَ تيليماخوس الأميرُ الشّابُّ أوَّلَ مَنْ تكَلَّمَ ؛ فَقالَ إنَّهُ سَيَقومُ بِأوَّلِ مُحاوَلَةٍ ، فَإذا كُتِبَ لَهُ النَّجاحُ فَلَنْ يَسْمَحَ لِرَجُلٍ آخَرَ بِأنْ يَأخُذَ أمَّهُ ، وَلا أنْ يَتَوَّجَ عَلى إيثاكي مَلِكًا .

وَحاوَلَ مَرّاتٍ ثَلاثًا أنْ يَثْني القَوْسَ فَلَمْ يُفْلِحْ ، وَكادَ في المَرَّةِ الرّابِعَةِ أنْ يَنْجَح ، وَلَكِنَّ إشارَةً خَفِيَّةً سَريعَةً مِنْ أبيهِ جَعَلَتْهُ يُقْلِعُ عَنِ المُحاوَلَةِ ، وَيَتَظاهَرُ بِالفَشَلِ ، مُفْصِحًا عَنْ ضَعْفِهِ ، مُفْسِحًا الطَّريقَ لِمَنْ هُوَ أكْثَرُ مِنْهُ قُوَّةً ، وَأشَدُّ صَلابَةً ، كَيْ يُجَرِّبَ حَظَّهُ . وَحاوَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الرِّجالِ الاِثْنَيْ عَشَرَ أنْ يَثْنِيَ القَوْسَ العَظيمَةَ ، فَباءَتْ مُحاوَلاتُهُمْ جَميعًا بِالفَشَلِ الذَّريع ، وَفي أثْناءِ ذَلِكَ كانَ أوديسْيوس

قَدْ صَحِبَ الرّاعِيَ الأمينَ يومايوس إلى الحارِجِ ، وَسَأَلَهُ : « إلى أيِّ حانِبٍ سَتَنْحازُ لَوْ أنَّ أوديسيوسَ قَدْ عادَ ؟ هَلْ سَتُقاتِلُ في صَفِّهِ ، أمْ مَعَ هَؤلاءِ الشَّبابِ الأوْغادِ ؟»

صاحَ الرّاعي الأمينَ دونَ تَفْكيرٍ : « مَعَ أوديسْيوس طَبْعًا ! وَإنّي لأتَمَنّى لَوْ يَعودُ اليَوْمَ .»

قالَ أوديسْيوس : « إنَّهُ قَدْ عادَ ! فَأنا هُوَ بِشَحْمِهِ وَلَحْمِهِ !» ثُمَّ أظْهَرَ لِلراعي الأمينِ ، العَلامَةَ الّتي تُمَيِّزُهُ ، وَهِيَ الجُرْحُ العَميقُ الّذي أصابَ ساقَهُ في رِحْلَةِ صَيْدٍ قَبْلَ زَواجِهِ ، فَفاضَتْ دُموعُ الفَرَحِ مِنْ عَيْنَي الرّاعي الأمينِ ، وَأكَبَّ عَلى يَدَيْ سَيِّدِهِ ، يوسِعُهُما لَثْمًا وَتَقْبيلاً .

قالَ أوديسْيوس إنَّهُ سَيَعودُ إلى السّاحَةِ ، وَيَطْلُبُ إلى القَوْمِ أنْ يأذَنوا لَهُ بِتَجْرِبَةِ قُوَّتِهِ ، وَاخْتِبارِ مَهارَتِهِ ، وَأنَّ عَلى يومايوس أنْ يَضَعَ القَوْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَهْما أصَرَّ الآخَرونَ عَلى الرَّفْضِ ، وَأسْرَفوا في السُّخْرِيَةِ ، وَأفْحَشوا في القَوْلِ .

قالَ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَخَلَ القاعَةَ ، يَتْبَعُهُ يومايوس .

وَكانَ الرِّجالُ قَدِ استَجابوا إلى اقْتِراحِ أنتينوس بِتَأجيلِ المُحاوَلاتِ

إلى الغَدِ ، بَعْدَ أنْ باءوا اليَوْمَ بِالفَشَلِ ، وَبَدءوا يَلْهونَ وَيَشْرَبون ، وَلَكِنَّ أوديسْيوس طَلَبَ مِنْهُمْ السَّماحَ لَهُ بِالمُحاوَلَةِ ، فَإذا هُمْ يَنْظُرونَ إلَيْهِ في ازْدِراءٍ وَاحْتِقارٍ ، وَيَتَصايَحونَ بِطَرْدِهِ مِنَ السّاحَةِ . وَلَكِنَّ بِينيلوبي تَحْسِمُ المَوْقِفَ بِقَوْلِها : « إنَّ مِنْ حَقِّ الشَّحّاذِ أنْ يُجَرِّبَ قُوَّتَهُ ، وَيَقومَ بِمُحاوَلَتِهِ ، عَلى أنَّني – بِالطَّبْعِ – لَنْ أتَزَوَّجَهُ لَوْ نَجَحَ في مُحاوَلَتِهِ ، إنَّما سَأكْسوهُ ثِيابًا جَديدَةً فاخِرَةً ، وَأزَوِّدُهُ بِما يُتيحُ لَهُ السَّفَرَ إلى أيِّ مَكانٍ يَشاءُ .»

عِنْدَئِذٍ قالَ تيليماخوس الأميرُ الشّابُّ : « إنَّ القَوْسَ قَوْسُ أبي ، وَهُوَ صاحِبُها ، وَلَوْ رَغِبَ الشَّحّاذُ المِسْكينُ في أنْ يَأخُذَها هَدِيَّةً مِنّي لَقَدَّمْتُها لَهُ عَنْ طيبِ خاطِرٍ .» ثُمَّ أمَرَ أمَّهُ أنْ تُغادِرَ السّاحَةَ هِيَ وَالنِّسْوَةُ فَوْرًا .

وَتَمَلَّكَ العَجَبُ نَفْسَ بِينيلوبي عِنْدما سَمِعَتْ قَوْلَ ابْنِها وَلَمَسَتْ في نَبْرَةِ صَوْتِهِ السِّيادَةَ وَالسُّلْطانَ ، وَاهْتَزَّتْ أعْماقُها طَرَبًا وَهِيَ تَراهُ يُمارِسُ سِيادَتَهُ عَلى القَصْرِ ، فَصَعِدَتْ إلى غُرْفَتِها ، يَتْبَعُها خادِماتُها ، تَلْبِيَةً لأمْرِ سَيِّدِ القَصْرِ الّذي يَنْبَغي أنْ يُطاعَ .

وَبِسُرْعَةٍ وَضَعَ الأميرُ الشّابُّ القَوْسَ بَيْنَ يَدَيْ أوديسْيوس وفي صَمْتٍ وَحَذَرٍ أوْصَدَ الرّاعي الأمينُ جَميعَ الأبْوابِ .

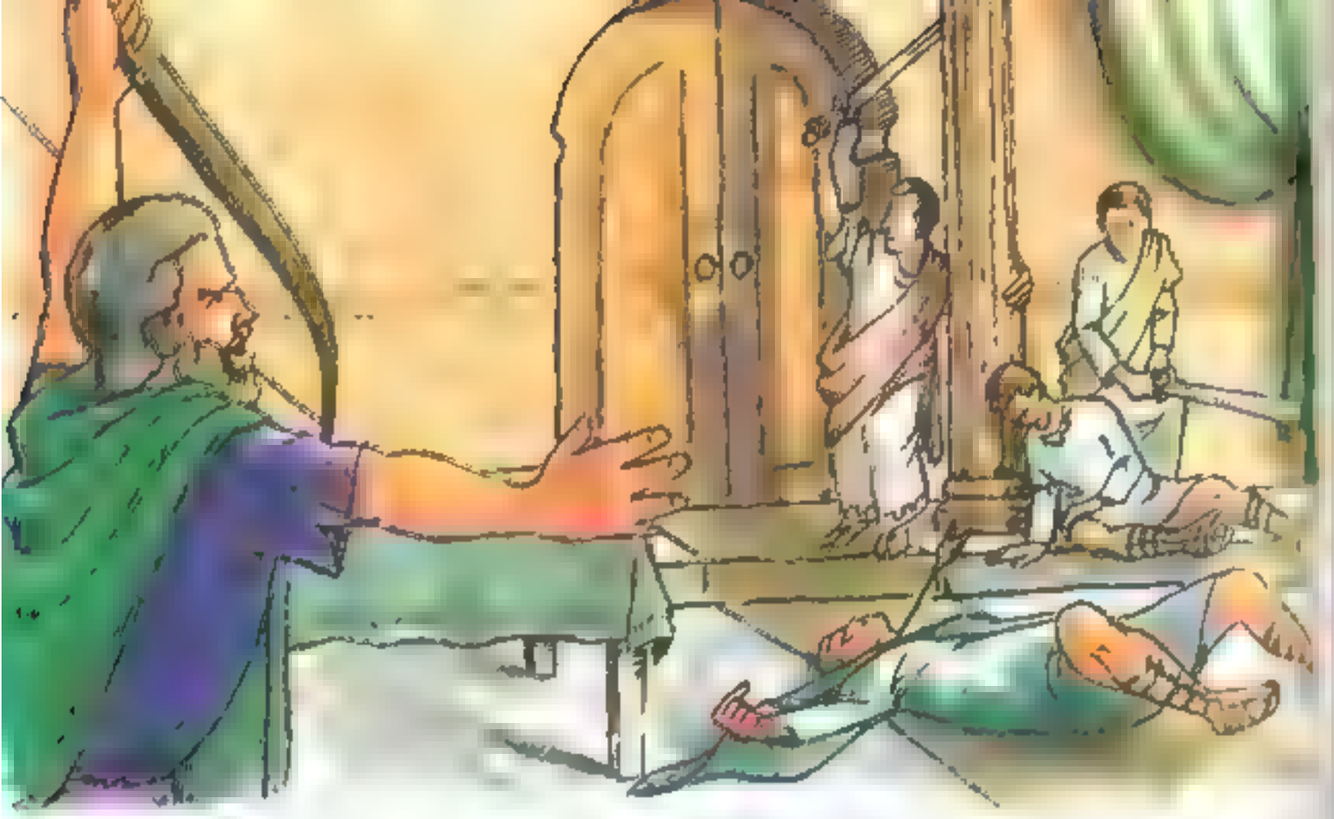

وَجَلَسَ أولَئِكَ الشَّبابُ الأوغادُ إلى مَوائِدِهِمْ ، وَهُمْ يَحْتَرِقونَ جَسَدَ الشَّحّاذِ المِسْكينِ بِنَظَراتِهِمْ الَّتي تَفيضُ بِالتَّهَكُّمِ وَالسُّخْرِيَةِ ، وَتَنْضَحُ بِالحِقْدِ وَالاحْتِقارِ . كَيْفَ يَسْتَطيعُ هَذا الشَّحّاذُ ، مَعَ ضَعْفِ جِسْمِهِ وَ وَهَنِ قُوَّتِهِ ، أنْ يَأْتِيَ مِنَ العَمَلِ ما عَجَزوا عَنْ إتْيانِهِ مَعَ فَرْطِ قُوَّتِهِمْ وَفُتُوَّتِهِمْ ؟

وَلَكِنَّ الشَّحّاذَ المِسْكينَ أثارَ كَوامِنَ غَيْظِهِمْ وَبالَغَ دَهْشَتِهِمْ وَسَخَطِهِمْ حينَ أمْسَكَ بِالقَوْسِ في رِفْقٍ ، ثُمَّ مالَ عَلَيْها في حُنُوٍّ بالِغٍ كَأنَّما يُناجيها وَتُناجيهِ ، وَفي حَرَكَةٍ لَطيفَةٍ رَشيقَةٍ ثَناها ، فَاسْتَجابَتْ لَهُ ، وَتَحاوَبَتْ مَعَهُ . ثُمَّ راحَ يُشَدُّ فيها الوَتَرَ كَأيِّ موسيقارٍ بارِعٍ يُثَبِّتُ وَتَرًا حَديدًا في آلَتِهِ الَّتي يُحِبُّها وَتُحِبُّهُ ، ثُمَّ التَقَطَ سَهْمًا كانَ فَوْقَ إحْدى المَوائِدِ في هُدوءٍ وَسَكينَةٍ ، وَثَبَّتَهُ في الوَتَرِ ، وَصَوَّبَهُ خِلالَ الثُّقوبِ الَّتي في نِصالِ السُّلْطاتِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ . وَاسْتَدارَ إلى القَوْمِ ، وَبِإيماءَةٍ خَفيفَةٍ مِنْ رَأسِهِ ، وَابْتِسامَةٍ ماكِرَةٍ مِنْ شَفَتَيْهِ ، فَهِمَ عَنْهُ ابْنُهُ الأميرُ الشّابُّ ما يُريدُ ، وَإذا هُوَ يَشْهَرُ سَيْفَهُ في يُمْناهُ ، وَيَحْمِلُ رُمْحَهُ في يُسْراهُ ، وَيَقِفُ إلى جِوارِ أبيهِ . وَبِوَثْبَةٍ واحِدَةٍ رائِعَةٍ يَصِلُ أوديسْيوس إلى البابِ ، وَيَقِفُ وَالقَوْسُ لا تَزالُ في يَدِهِ ، ثُمَّ يَقولُ : « وَالآنَ أيُّها السّادَةُ ، سَأُصيبُ شَيْئًا لَمْ يُصِبْ لأحَدٍ مِنْ قَبْلي أنْ أصابَهُ . »

وَفي لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ يُصَوِّبُ السَّهْمَ نَحْوَ أنتينوس ، وَإذا السَّهْمُ يَمْرُقُ مِنْ خِلالِ حَلْقومِهِ ، فَيُرْديهِ قَتيلاً ، كَما يُحَطِّمُ الكَأسَ المُذَهَّبَةَ الَّتي كانَ يَشْرَبُ مِنْها . وَيَهُبُّ الرِّجالُ الآخَرونَ عاصِبينَ ، وَهُمْ يُجيلونَ الطَّرْفَ في حُدْرانِ السّاحَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، يَبْحَثونَ عَنِ الأسْلِحَةِ الَّتي كانَتْ مُعَلَّقَةً فَوْقَها ، فَإذا هِيَ عارِيَةٌ حاوِيَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأسْقِطَ في أيْديهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ يَصيحونَ بِالشَّحّاذِ . « سَتُقْتَلُ أيُّها الشَّحّاذُ الحَقيرُ ، وَسَنَجْعَلُكَ طَعامًا لِلنُّسورِ ! »

فَأجابَهُمْ أوديسْيوس العَظيمُ في شَجاعَةِ البَطَلِ وَاطْمِئْنانِ الواثِقِ : « أيُّها الأوْغادُ ، أ تَعْرِفونَ مَنْ أنا ؟ لَقَدِ اسْتَحَقْتُمْ قَصْري ، وَطَمِعْتُمْ

في زَوْجي ، وَأَهَتْمْ وَلَدي ، طَناً مِنْكُمْ أَنّني لَنْ أعودَ . إنّ أودِيسْيوس قَدْ عادَ لِيَنْتَقِمَ !»

اضطَرَبَ أَمْرُهُمُ اضطِراباً شَديداً ، وَتَداخَلَ بَعْضُهُمْ في بَعْض تَداخُلاً مُنْكَراً ، وَأَصْبَحوا كَفِئْرانٍ مَذْعورَةٍ لا تَجِدُ السَّبيلَ إلى الخُروجِ مِنَ الشَّرَكِ الَّذي وَقَعَتْ فيهِ وَهُنا صاحَ أَحَدُهُمْ في دُعْرٍ وَهَلَعٍ : « أَيُّها الرِّفاقُ ، اشْهَروا سُيوفَكُمْ ، وَاجْعَلوا المَوائِدَ دُروعاً تَقيكُمْ سِهامَ هَذا الرَّجُلِ ، وَاحمِلوا عَلَيْهِ حَمْلَةً واحِدَةً .» ثُمَّ شَهَرَ سَيْفَهُ ، وَقَفَزَ إلى الأمامِ قَفْزَةً ، وَلَكِنَّ سَهْماً مِنْ أودِيسْيوس عاجَلَهُ في صَدْرِهِ فَأَصْمَتَهُ . وَحاوَلَ رَجُلٌ آخَرُ أَنْ يَهْجُمَ عَلى أودِيسْيوس وَلَكِنَّ رُمْحَ الأميرِ الشّابِّ طَعَنَهُ في كَتِفِهِ طَعْنَةً نَجْلاءَ .

وَفي هَذِهِ اللَّحَظاتِ الحاسِمَةِ تَسَلَّقَ خادِمٌ استَبْدَلَ بِوَلائِهِ لِمَليكِهِ وَلاءَ الشَّيْطانِ وَالخَوَنَةِ – تَسَلَّقَ هَذا الخادِمُ مَخْزَنَ السِّلاحِ ، وَراحَ يُلْقيهِ إلى الرِّجالِ في السّاحَةِ ، لِيُثْخِنوا أودِيسْيوس وَابنَهُ وَالرّاعِيَ الأمينَ جِراحاً . وَأَخَذَتِ الرِّماحُ تَتَناوَشُ أودِيسْيوس مِنْ كُلِّ حانِبٍ ، والسِّهامُ تَنْطَلِقُ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَلَكِنَّ الرِّئَةَ العَظيمَةَ أَثيمَةَ كانَتْ لَهُمْ بِالمِرْصادِ ؛ فَإِذا هِيَ تَظْهَرُ لأودِيسْيوس تَحُثُّهُ وَتُشَجِّعُهُ عَلى المُضِيِّ في القِتالِ ، وَتُطيشُ السِّهامَ وَالرِّماحَ بَعيداً عَنْهُ ، فَلا

تَنالُ مِنْهُ مَنالاً . وَكَمْ كانَ لِتَشْجيعِها مِنْ أَثَرٍ قَويٍّ كَريمٍ في نَفْسِهِ ، فَمَضى يُقاتِلُ غَيْرَ هَيّابٍ وَلا وَجِلٍ حَتّى استَطاعَ هُوَ وَابنُهُ وَالرّاعي الأمينُ أَنْ يَقْضوا على جَميعِ الرِّجالِ ، وَيُحَوِّلوهُمْ جُثَثاً وَأَشْلاءً تُغَطّي أَرْضَ السّاحَةِ .

اِنتَهَتِ المَعْرَكَةُ فَأَمَرَ أودِيسْيوس بِإِزالَةِ آثارِها ؛ فَحَمَلَ الخَدَمُ الجُثَثَ وَالأَشْلاءَ إلى خارِجِ السّاحَةِ ، وَجاءَ النِّسْوَةُ لِيُنَظِّفْنَ الأَرْضَ مِمّا عَلِقَ بِها مِنْ دِماءِ الأَوْغادِ ، ثُمَّ أَخَذْنَ الخادِمَ الخائِنَ ميلانثيوس وَقَتَلْنَهُ ، ثُمَّ اغتَسَلْنَ ، وَبَعَثْنَ رِسالَةً إلى پينيلوپي يَطْلُبْنَ إلَيْها النُّزولَ .

وَكَأَنَّما دَبَّتْ في جَسَدِ المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يُوريكْليا قُوَّةٌ سِحْرِيَّةٌ ، لا تَعْرِفُ مَأتاها ، وَلا تُدْرِكُ كُنْهَها ، فَطارَتْ في هِمَّةٍ وَثّابَةٍ ناشِطَةٍ إلى سَيِّدَتِها ، تَزُفُّ إلَيْها البُشْرى ، وَتَطْلُبُ إلَيْها أَنْ تَهْبِطَ كَيْ تُشاهِدَ ما تاقَتْ نَفْسُها إلى مُشاهَدَتِهِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ ؛ فَقَدْ عادَ البَطَلُ أوديسْيوس وَقَتَلَ جَميعَ الأَوْغادِ ، الَّذينَ كانوا يُعَكِّرونَ صَفْوَ القَصْرِ ، وَيُهَدِّدونَ سَلامَتَهُ وَأَمْنَهُ . وَكانَ فيما قالَتْهُ المُرَبِّيَةُ العَجوزُ :

« إنَّ أودِيسْيوس العَظيمَ في السّاحَةِ يا سَيِّدَتي يَنْتَظِرُ مَقْدَمَكِ . إنَّهُ ذَلِكَ الشَّحّاذُ العَجوزُ الَّذي سَحِرَ مِنْهُ الجَميعُ ، لَكِنَّ تيليماخوس كانَ يَعْرِفُ مُنْذُ البِدايَةِ أَنَّهُ أبوهُ .»

لَمْ تَقْتَنِعْ پينيلوپي بِكَلامِ مُرَبِّيَتِها العَجوزِ كُلَّ الاقتِناعِ ، وَلَمْ تَثِقْ فيهِ كُلَّ الثِّقَةِ ، فَقَدْ كانَ يُخامِرُها بَعْضُ الشَّكِّ في أَنْ يَكونَ الشَّحّاذُ العَجوزُ واحِداً مِنْ أُولَئِكَ المُغامِرينَ ، الَّذينَ يُجيدونَ تَمْثيلَ الأَدْوارِ إِجادَتَهُمْ تَلْفيقَ القَصَصِ وَالحِكاياتِ . وَأَبْدَتْ لِلْمُرَبِّيَةِ العَجوزِ مَخاوِفَها ، ثُمَّ زَفَرَتْ في أَسًى وَقالَتْ : « لا شَكَّ في أَنَّ أودِيسْيوس قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ في إِحْدى البِلادِ النّائِيَةِ .»

وَلَكِنَّ المُرَبِّيَةَ العَجوزَ أَلَحَّتْ عَلى سَيِّدَتِها في أَنْ تُصَدِّقَها ، وَأَخْبَرَتْها أَنَّها رَأَتْ أَثَرَ نُدْبَةِ الجُرْحِ العَميقِ الَّذي أُصيبَ بِهِ في ساقِهِ وَهُوَ في رِحْلَةِ صَيْدٍ قَبْلَ زَواجِهِ . فَلَمْ تَجِدْ پينيلوپي مَفَرًّا مِنْ أَنْ تَهْبِطَ إِلى السّاحَةِ ، وَأَنْ تَقْطَعَ الشَّكَّ بِاليَقينِ ؛ فَتَضَعَ ذَلِكَ الشَّحّاذَ مَوْضِعَ الاختِبارِ ، وَتَحْسِمَ بِذَلِكَ أَمْرَها .

هَبَطَتْ إِلى السّاحَةِ وَجَلَسَتْ بِجِوارِ النّارِ في مُواجَهَةِ الشَّحّاذِ الَّذي كانَتْ يَداهُ وَأَسْمالُهُ مُلَطَّخَةً بِالدِّماءِ مِنْ أَثَرِ القِتالِ ، وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ الإِجْهادُ وَالإِرْهاقُ مِنْ جَرّاءِ المَعْرَكَةِ . وَتَفَرَّسَتْ پينيلوپي في وَجْهِهِ ، فَلَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ جَيِّدًا ، وَإِنْ كانَ بَعْضُ الشَّكِّ المَمْزوجِ بِالقَلَقِ وَالحَيْرَةِ يَعْتَمِلُ في صَدْرِها ، وَيَجوسُ خِلالَ نَفْسِها .

وَلَمّا كانَتْ قَدْ جَلَسَتْ صامِتَةً لا تَنْبِسُ مِنْها شَفَةٌ ، ساكِنَةً لا

تَطْرِفُ لَها عَيْنٌ ، رَماها ابنُها تيليماخوس بِقَسْوَةِ الغَضَبِ ، وَفُتورِ الحِسِّ وَجُمودِ العاطِفَةِ . لَكِنَّها قالَتْ : « وَلَدي ! إِنَّني مُتَوَتِّرَةُ النَّفْسِ ، مُضْطَرِبَةُ الأَعْصابِ ، وَلَسْتُ أَدْري ماذا أَقولُ ! عَلى أَيَّةِ حالٍ إِذا كانَ هَذا الرَّجُلُ هُوَ الغائِبُ المُنْتَظَرُ حَقًّا فَلا شَكَّ في أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنَ الأُمورِ ما لا يَعْرِفُهُ غَيْري وَغَيْرُهُ . إِنَّني لَنْ أَعْدَمَ الوَسيلَةَ الَّتي أَعْرِفُ بِها صِدْقَهُ .»

وَعِنْدَئِذٍ أَمَرَ أودِيسْيوس ابنَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلى الحَمّامِ ، كَيْ يَغْتَسِلَ وَيَرْتَدِيَ مَلابِسَ نَظيفَةً تَليقُ بِهِ ، وَتُناسِبُ مَقامَهُ . أَمّا هُوَ فَقَدْ راحَتِ المُرَبِّيَةُ العَجوزُ يوريكْليا تَغْسِلُ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ، وَتَدْعَكُ جِسْمَهُ بِالزَّيْتِ . ثُمَّ أَحْضَرَتْ لَهُ ثِياباً نَظيفَةً لائِقَةً ، فَبَدا مِنْ جَديدٍ رَجُلاً بَهِيَّ الطَّلْعَةِ ، مُمْتَلِئًا بِالفُتُوَّةِ وَالجَلالِ . ثُمَّ نَهَضَ وَجَلَسَ عَلى كُرْسِيِّهِ العالي بِجِوارِ النّارِ ، ثُمَّ وَجَّهَ الحَديثَ إِلى پينيلوپي قائِلاً :

« أَيْ سَيِّدَتي ! لا أَشُكُّ لَحْظَةً في أَنَّكِ أَجْمَلُ مَليكَةٍ بَيْنَ الأَحْياءِ ، وَأَقْسى مَليكَةٍ كَذَلِكَ ؛ فَما مِنِ امْرَأَةٍ لا يَذوبُ قَلْبُها رِقَّةً وَحَنانًا وَهِيَ تَرى زَوْجَها بَيْنَ يَدَيْها بَعْدَ غِيابٍ طَويلٍ مَريرٍ ، تَكَبَّدَ فيهِ مِنَ المَخاطِرِ وَالأَهْوالِ ما لا يَتَصَوَّرُهُ عَقْلٌ ، وَلا يَخْطِرُ عَلى قَلْبٍ ! فَما شَأْنُكِ يا سَيِّدَتي ؟» ثُمَّ استَدارَ نَحْوَ المُرَبِّيَةِ العَجوزِ يوريكْليا وَقالَ

لها : « أيْ مُرَبِّيَتي ! أعِدّي لي فِراشاً هُنا ، فَسَأنامُ في هَذا المكانِ وَحْدي . إنَّ قَلْبَ پينيلوپي قاسٍ كَالصَّخْرِ ، بَلْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُ قَساوَةً وَغِلْظَةً .»

عِنْدَئِذٍ سَنَحَتِ الفُرْصَةُ لِپينيلوپي أنْ تَضَعَهُ مَوْضِعَ الاختِبارِ ، فَقالَتْ لِلْمُرَبِّيَةِ العَجوز : « لا يا يُوريكْلِيا » لا تَضَعي لَهُ فِراشاً هُنا ، وَلَكِنْ ضَعي لَهُ فِراشاً خارِجَ غُرْفَةِ النَّوْمِ الَّتي بَناها لَنا حينَ تَزَوَّجْنا ، ثُمَّ أحْضِري لَهُ المَقْعَدَ ذا القَدَمَيْنِ مِنْ داخِلِ الغُرْفَةِ ، لِيُريحَ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ المُتْعَبَتَيْنِ .»

قالَ أوديسْيوسُ ، وَقَدْ فَطِنَ لِما استَهْدَفَتْهُ زَوْجَتُهُ : « كَيْفَ يَتَسَنَّى لأيَّةِ قُوَّةٍ أنْ تُزَحْزِحَ ذَلِكَ المَقْعَدَ عَنْ مَكانِهِ ، أوْ تَنْقُلَهُ خارِجَ الغُرْفَةِ ؟ لَقَدْ صَنَعْتُهُ بِيَدَيَّ بِقاعِدَةٍ ثابِتَةٍ مِنْ جِذْعِ إحْدى الأشْجارِ ، فَلا يَتَأتّى تَحْريكُهُ مِنْ مَكانِهِ أوْ نَقْلُهُ إلا بِقَطْعِ جِذْعِ الشَّجَرَةِ .»

عِنْدَئِذٍ انجابَ الشَّكُّ عَنْ قَلْبِ پينيلوپي وَهَفا بِكُلِّ أشْواقِ السِّنينَ إلى زَوْجِها ، فَألْقَتْ بِنَفْسِها بَيْنَ أحْضانِهِ ، وَأحاطَتْ عُنُقَهُ بِذِراعَيْها ، لا تُريدُ أنْ تَنْفَكَّ عَنْهُ ، أوْ تُفارِقَهُ أبَداً . ثُمَّ شَرَعَتْ ، وَرَأسُها مُسنَدَةٌ إلى صَدْرِهِ ، تُغَمْغِمُ بِكَلِماتٍ فيها مَعْنى الاعتِذارِ لِزَوْجِها وَتَقولُ :

« لا تَعْتِبْ عَلَيَّ يا زَوْجي الحَبيبَ ، وَلا تَغْضَبْ مِنّي ؛ فَقَدْ مَرَّ عَلَيَّ مِنَ الأحْداثِ ما زَرَعَ الخَوْفَ في صَدْري ، وَجَعَلَني دائِماً في خَشْيَةٍ مِنْ أنْ يَأتِيَ مُخادِعٌ أفّاقٌ فَيَخْدَعَني وَيَنْتَزِعَني مِنْ زَوْجي الَّذي كُنْتُ أنْتَظِرُهُ في شَوْقٍ عارِمٍ ، وَلَهْفَةٍ طاغِيَةٍ . أما وَقَدْ أخْبَرْتَني بِسِرِّ الفِراشِ الَّذي لا يَعْرِفُهُ أحَدٌ غَيْري وَغَيْرُكَ وَغَيْرُ المُرَبِّيَةِ العَجوزِ الوَفِيَّةِ، فَلَمْ يَعُدْ إلى الخَوْفِ في نَفْسي سَبيلٌ .»

وَنَهَضَ الزَّوْجانِ إلى غُرْفَتِهِما ، تَتَقَدَّمُهُما المُرَبِّيَةُ العَجوزُ الوَفِيَّةُ يُوريكْلِيا ، تَحْمِلُ بِيَدِها مِشْعَلاً يُضيءُ لَهُما الطَّريقَ ؛ لِكَيْ يَنْعَما بِما كانا يَنْشُدانِهِ مِنَ السَّعادَةِ وَالهَناءَةِ مُنْذُ أمَدٍ طَويلٍ ، وَلِكَيْ يُمْتِعَ أوديسْيوس العَظيمُ زَوْجَتَهُ پينيلوپي بِما يَقُصُّهُ عَلَيْها مِنْ أنْباءِ المَخاطِرِ الَّتي قاساها ، وَالصِّعابِ الَّتي تَخَطّاها .

من الإلياذة لهوميروس

١ – حصار طروادة

من الأوذيسيا لهوميروس

١ – مغامرات أوديسيوس

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم الكمبيوتر 01 C 19870

هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأدبية فقط ، الرجاء حذف هذا الملف بعد قراءته ، و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...

This is a Fan base production , not for sale or ebay . please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity